التوحيد

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

(تقويم هجري

الفاتيكان منزعج

لاح المصري كما يراه اليهود

ي الجمهورية: التدخين حرام قطعا

الهجرة وعناية القرآن بها

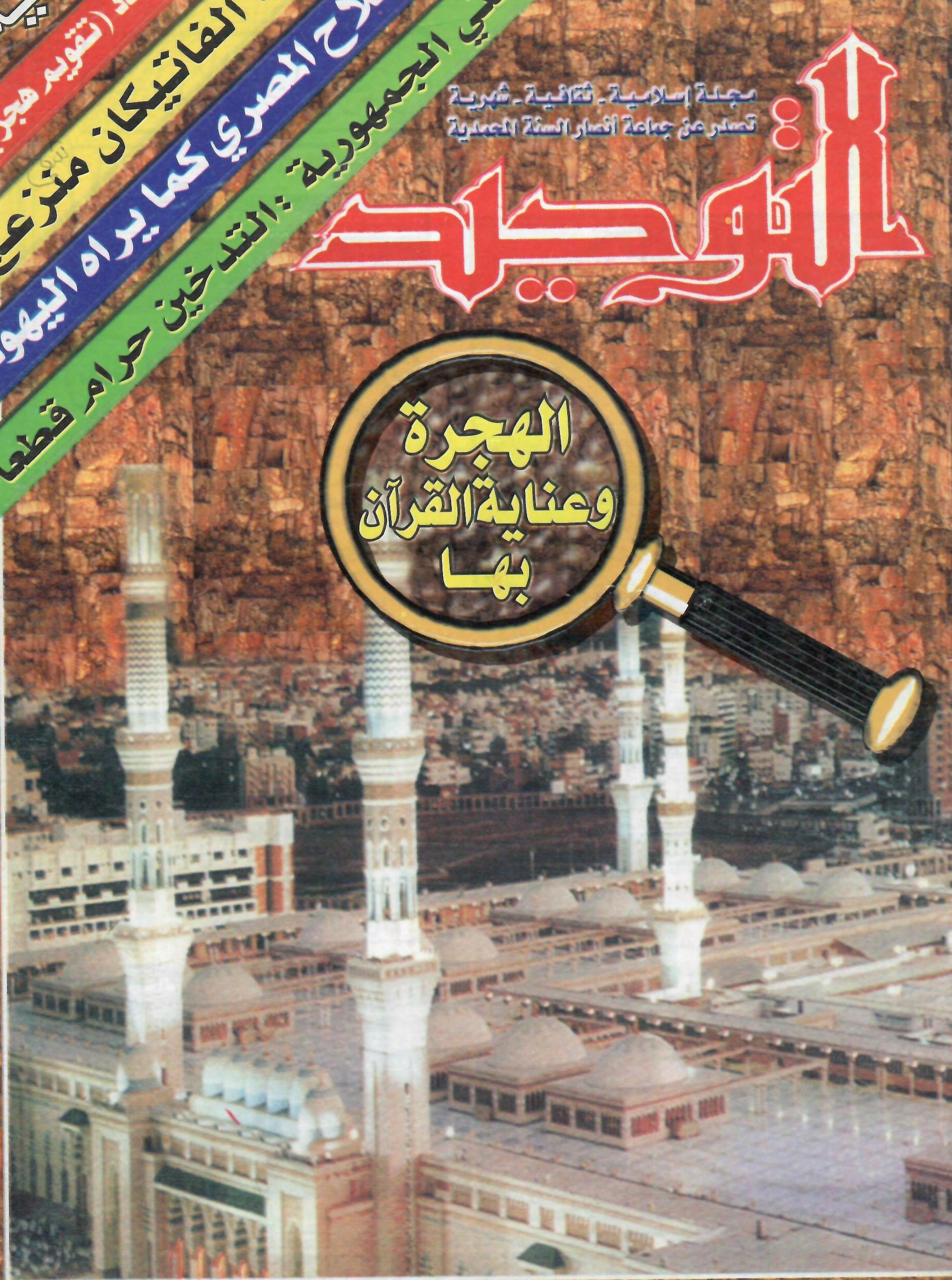

لسنة التاسعة و العشرون - العدد الأول محرم ١٤٢١ هـ
٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

السنة التاسعة والعشرون - العدد الأول -
محرم ١٤٢١ هـ

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

المشرف العام
محمد صفوت نور الدين

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

مدير التحرير
محمود غريب الشربيني

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي :
١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية داخلية باسم : مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين) .
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك ، على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم : مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية: الرئيس العام : حماية أبناء الموحدين ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير :
الهجر .. والهجرة والمهاجر !! ٦
باب التفسير : د. عبد العظيم بدوي : سورة النجم [١] ١٢
باب السنة : الرئيس العام : صلح الحديبية ١٦
الهجرة بين الأمس واليوم : أشرف بن عوض ٢٥
موضوع العدد : الفلاح المصري كما يراه اليهود!!
بقلم د . أحمد إبراهيم خضر ٢٦
قصيدة : عامنا الهجري : شعر / عماد الألفي ٣١
أسئلة القراء عن الأحاديث :
العلامة محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله ٣٢
الفتاوى : لجنة الفتوى بالمركز العام ٣٦
الدعوة والدعاة : أ . د . أحمد سيد المسير ٣٩
الأمة تودع صاحب فقه السنة : جمال سعد حاتم ٤٠
باب اللغة العربية : د . سيد خضر ٤٢
من أسرار لغة القرآن : د . علي لقم ٤٤
مذكرة دفاع : بقلم الشيخ / مصطفى درويش ٤٦
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة
بقلم أ / محمود المراكبي ٤٨
روائع الماضي : فضيلة الشيخ أحمد فهمي
بابا الفاتيكان منزعج !! ٥٢
الجوانب الأخلاقية للاقتصاد الإسلامي :
السيد عبد العال السيد ٥٤
الهجرة وعناية القرآن بها : الشيخ أحمد طه نصر ٥٧
باب السيرة : قصة موسى عليه السلام :
الشيخ عبد الرزاق السيد عيد ٦٠
التشريع الإسلامي : فضيلة الشيخ / أحمد كامل ٦٤

التحرير : ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة : .... ☎ : ٣٩٣٦٥١٧
فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات : .... ☎ : ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي :

مؤسسة الأهرام

وفروع أنصار

السنة المحمدية

ثمن النسخة :

مصر ٧٥ قرشًا ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، السودان ١,٥ جنيه مصري ، العراق ٧٥٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني .

مع القراء

وزير مسيحي يصف الشريعة الإسلامية

خطب الأستاذ فارس الخوري - أحد وزراء سوريا السابقين - في حفل عظيم أقيم بدمشق عام ١٣٥٤هـ، ومما قاله : (إن محمدًا أعظم عظماء العالم ، ولم يجُد الدهر بمثله بعد ، والدين الذي جاء به أوفى الأديان وأتمها وأكملها .

وإن محمدًا أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية ، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الاعتراف بفضل الذي دعا الناس إليها باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم ، مطابقة لأرقى النظم والحقائق العلمية .

إن محمدًا أعظم عظماء الأرض ، سابقهم ولاحقهم ، فلقد استطاع توحيد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة موحدة فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة ، عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم ، على أسس تعد من أرقى دساتير العالم وأكملها) .

والله المستعان .

رئيس التحرير

حمايــة أبناء الموحدين

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

افتتاحية

العـــدد

*الحمد لله الواحد الأحد ، الذي لم يَلد ، ولم يُولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، والذي بعث الرسل مبشرين ومنذرين ، فدعوا الناس إلى أن يعرفوا ربًا خلقهم فيعبدوه ، ولا يشركوا معه أحدًا ، فقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦- ٥٨] ، والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير الذي اصطفاه ربه ، فأيده برسالته ، فدعى الناس لدين الله ، فهدى الله به من الكفر ، وبصر به من العمى ، وأرشد من الغواية ، ورفع الله به من الخسة ، وأعلى به من الضعة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره وتبع سنته إلى يوم القيامة ، وبعد :*

آدم

الله سبحانه خلق آدم عليه السلام وعلمه التوحيد ، وأهبطه إلى الأرض ، ولم تكن الأرض خالية من العباد لله رب العالمين ، بل إن الملائكة لتقول : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ، أخبرت الملائكة أن الأرض مستغنية عن ذلك المخلوق الجديد الذي يُفسد فيها ويسفك الدماء ، بينما الملائكة يسبحون ويقدسون لربهم ، فلما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض وأذن الله له بذرية قام فيهم بالإسلام ، وعلمهم التوحيد في العبادة ودعاهم إليه ، ولكن الشيطان لم يتركهم حتى جعل من بني آدم - بعد عشرة قرون كانت على التوحيد - من يعبد الأصنام ، فبعث اللهُ نوحًا عليه السلام يدعو الناس لتوحيد الله ونبذ الشرك ، فأطاعه قليل وكذبه الكثير ، فأهلك الله المشركين ، وأنجى الموحدين ، وجعل الله ذرية نوح عليه السلام هي الباقية .

نوح

ومع ذلك خرج من هذه الذرية « ذرية الموحدين » قوم عاد وثمود الذين أشركوا ، فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله ، فبعث الله إلى عاد هودًا عليه السلام ، وإلى ثمود صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد ،

هود

صالح

> ☐ الشرك أعظم الظلم ، فإن زال ظلم الشرك زال كل ظلم دونه ، ولا يزول من المظالم شيء إلا بزوال الشرك .
>
> ☐ إن المشركين لم ينسبوا لمعبوداتهم الخلق ، ولا الرزق ، ولا شيء من صفات الربوبية ، وإنما كان شركهم في عبادتهم من دون الله .

إبراهيم

فكذبوه ولم يؤمن بهما إلا قليل ، فأبقى الله الموحدين ، وأهلك المشركين ، فخرج من ذريتهم قوم إبراهيم الذين عبدوا الأوثان والكواكب ، وعبدوا ملكهم النمرود ، وقص رب العزة علينا ذلك ليعلمنا أن الشيطان بوسوسته يُدخل الشرك على أبناء الموحدين .

هذه واحدة ، ونضيف إليها أن الرقي المادي والتقدم التقني لا يثبت في قلوب أصحاب الناس التوحيد ولا ينفي عنهم الشرك ، ولا يحجبهم عن الشيطان ، فاللَّه سبحانه يذكرنا في سورة « الفجر » ، فيقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ❁ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ❁ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ❁ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ❁ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ❁ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ❁ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ❁ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ❁ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ٦- ١٤] . فتلك أمم كانت لها من الحضارات التي لا تزال آثارها إلى اليوم شاهدة بتقدمهم العلمي في تحنيط جثث موتاهم ، وبناء معابدهم ، والأهرامات التي لا تزال شاهدة على ذلك لم يمنعهم ذلك من وقوع الشرك فيهم . وكذلك أمم الكفر التي غزوا بها بلاد الدنيا ، ومع ذلك فهم أمام أصنام صنعوها في معابد يركعون لها ويعبدونها ، وفيهم صور من الشرك الكثير الذي لا نتخيله شغلهم بذلك أنهم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : ٧] .

وإن أكثر أمم الأرض اليوم تنسب نفسها إلى المسيح عليه السلام يزعمون أنه هو اللَّه ، ويزعمون أنه ابن اللَّه ، ونسبوا للَّه صاحبة وولدًا ، وقد برأ القرآن الكريم رب العزة عن ذلك بالأسلوب القوي ، ثم نفى عن المسيح وأمه كل ذلك ، وعرّف اللَّه الخلق بنفسه ، وأنه ليس له صاحبة ولا ولد ، ولا شريك له ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء : ١٧١] .

وقال سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ

أن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] .

وبين القرآن الكريم خطأ من نسب للّه الولد بيانًا قويًا واضحًا ، فقال : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۞ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٤، ٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۞ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۞ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۞ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۞ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۞ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم : ٨٨- ٩٤] .

وقال في سورة « آل عمران » : ﴿ وإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۞ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۞ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٤٥- ٥١] .

وسوس الشيطان للناس في كل عصر ليوقعهم في الشرك ، حتى كان ذلك أيضًا في الأمة التي بُعث فيها خاتم النبيين ﷺ ، حتى قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] ، فكانوا يعبدون الأصنام ، وما بعث إليهم رسول اللّه ﷺ إلا ليقول لهم : « قولوا : لا إله إلا اللّه » .

والسؤال الهام : لماذا اختار الشيطان الشرك ذنبًا مشتركًا يوقع الناس فيه ؟

والجواب أن الشيطان له هدف مبين في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] ، والشرك هو الذنب الذي يحقق للشيطان هدفه ، وذلك لأن الشرك :

أولاً : ذنب لا يغفر ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء ﴾ [النساء : ٤٨] .

ثانيًا : أن صاحب الشرك لا يستغفر منه ؛ لظنه أنه يُحسن صنعًا ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۞ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ ﴾ [ص : ٥- ٧] ، واللّه سبحانه يقول : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن

يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّه رَسُولاً ❁ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان : ٤١، ٤٢] .

ثالثًا : أن الشرك يحبط سائر العمل ؛ لقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّه تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ❁ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٤، ٦٥] ، ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّه عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] .

رابعًا : أن الشرك أعظم الظلم ، فإن زال ظلم الشرك زال كل ظلم دونه ، ولا يزول من المظالم شيء إلا بزوال الشرك : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، وقال سبحانه : ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّه مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦] ، ويقول تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] .

فما هو الشرك الذي أوقع الشيطان فيه الأمم السابقة ؟

والجواب : أن المشركين لم ينسبوا لمعبوداتهم الخلق ، ولا الرزق ، ولا شيئًا من صفات الربوبية ، إنما كان شركهم في عبادتهم من دون اللَّه ، كان شركهم في العكوف عند الأصنام ، ودعائها فيما لا يدعى فيه إلا اللَّه ، وذلك هو ما يفعله كثير من الجهلة حول القبور اليوم : ﴿ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، ويقول تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ❁ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ❁ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ❁ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ❁ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ❁ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء : ٦٩- ٧٤] .

فالشرك في كل الأمم السابقة واللاحقة إنما هو العكوف عند القبور المنصوبة والتماثيل ودعائها من دون اللَّه ، وهذا هو الظلم الأعظم الذي أرسل اللَّه الرسل للقضاء عليه ؛ وهو الظلم الذي إذا زال ؛ زال كل ظلم سواه ؛ لأن من عرف اللَّه ترك الشرك ، ومن عرف اللَّه خافه واجتنب غضبه ، فلم يظلم أحدًا .

هذا سبيل اللَّه الذي دعا إليه ، وهو سبيل الأنبياء والرسل ، فاحذروا السبل التي تزعم أنها تدعو للإسلام وأنها أقصر أو أنجع .

واللَّه من وراء القصد .

وكتبه

محمد صفوت نور الدين

كلمة التحرير

الهجر ...

بقلم رئيس التحرير

صفوت الشوداني

الحمد للّٰه .. والصلاة والسلام على رسول اللّٰه .. وبعد :

فإن الهجرة شرف عظيم ، ومنزلة رفيعة نالها المهاجرون !

ومع بداية عام هجري جديد يتجدد الحديث عن الهجرة .

ونتناول في هذا البحث الموجز - بإذن اللّٰه - ثلاث كلمات يدور الحديث حولها ؛ وهي الهجر ، والهجرة ، والمهاجر ، فنقول مستعينين باللّٰه :

الهجر والهجران : مفارقة الإنسان غيره ؛ إمّا بالبدن أو باللسان أو بالقلب ، قال تعالى : ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ [النساء : ٣٤] فهذا هجر بالبدن ، بمعنى عدم القرب في الفراش .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآن مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان : ٣٠] ، فهذا هجر بالقلب ، أو بالقلب واللسان .

وقال تعالى : ﴿ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ﴾ [المزمل : ١٠] ، وهذ يحتمل هجر القلب أو اللسان أو البدن أو الثلاثة معًا ، ومثله قولـ تعالى : ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٦] ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَالرُّجْ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر : ٥] ، فهذا أمر بالمفارقة والمتاركة بالوجوه كلها م السخط والنفور .

وأما الهجرة التي تحدث عنها القرآن الكريم وسمى أهلها مهاجرين فمعناها : الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان .

أو : انتقال المؤمن بدينه من بلد الفتنة والخوف إلى بلد يأمن في على نفسه ودينه ، كما حدث في الهجرة إلى الحبشة ، وكذلك الهجرة م مكة إلى المدينة .

وقد تحدث العلماء - قديمًا - عن الهجرة وما يتعلق بها ، وكذلك ع الهجر والمهاجر ، ونسوق - هنا - للقارئ الكريم جملة من لطائف المعارف ، وفرائد الفوائد ، ورءوس المسائل التي تمس الحاجة إلـ معرفتها ، بغير تطويل ممل ، ولا اختصار مخلّ !

والهجرة والمهاجر!!

❋ **المسألة الأولى** : قال ابن القيم – رحمه الله –: (وله – أي للمؤمن – في كل وقت هجرتان : هجرة إلى الله بالطلب والمحبة والعبودية والتوكل ، والإنابة والتسليم والتفويض والخوف والرجاء ، والإقبال عليه ، وصدق اللجوء والافتقار في كل نفَس إليه ... وهجرة إلى رسوله ﷺ في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة ؛ بحيث تكون موافقة لشرعه الذي هو تفضيل محاب الله ومرضاته ، ولا يقبل الله من أحد دينًا سواه ، وكل عمل سواه فعيش النفس وحظها لا زاد المعاد) !!

❋ **الثانية** : ذكر العلاّمة أبو بكر ابن العربي المالكي – رحمه الله – أنواع السفر التي يسافرها البشر ، فنقل عن العلماء تقسيمًا بديعًا عجيبًا غريبًا ! فقال – رحمه الله –: قسّم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض قسمين : هربًا وطلبًا !!

فالأول – أي الهرب – ينقسم إلى ستة أقسام :

١ – **الهجرة** : وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام ؛ وكانت فرضًا في أيام النبي ﷺ ؛ وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي ﷺ ، فإن بقي في دار الحرب عصى ؛ ويختلف في حاله – أي حكمه .

٢ – **الخروج** من أرض البدعة ؛ قال ابن القاسم : سمعت مالكًا يقول : (لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يُسب فيها السلف) . قال ابن العربي : وهذا صحيح ؛ فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزُل عنه ! قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام : ٦٩] .

٣ – **الخروج** من أرض غلب عليها الحرام ؛ فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم .

٤ – **الفرار** من الأذية في البدن ؛ وذلك فضل من الله أرخص فيه ؛

> " البيت الإسلامي- وطن إسلامي، بل هو دولة إسلامية ، وقبل أن أتبجح فانتقد ما خرج عن دائرتي من بيئات لا يفيدها انتقادي يجب عليَّ أن ابدأ بمملكتي التي هي بيتي فأهاجر أنا ومن فيه إلى ما يحبه الله ورسوله !! "

فإذا خشي على نفسه فقد أذن الله له في الخروج عنه ، والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور ، وأول من فعله إبراهيم عليه السلام ؛ فإنه لما خاف من قومه قال : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ [العنكبوت : ٢٦] ، وقال : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٩] ، وقال الله مخبرًا عن موسى عليه السلام : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص : ٢١] .

٥- **خوف** المرض في البلاد الوَخِمة ، والخروج منها إلى الأرض النزهة !

وقد أذن ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح (المكان الذي ترعى فيه الأنعام) فيكونوا فيه حتى يصحوا .

وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون ؛ فمنع الله منه بالحديث الصحيح عن نبيه ﷺ .

٦- **الفرار** خوف الأذية في المال ؛ فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه ، والأهل مثله وأوكد ...

وأما قسم الطلب - أي القسم الثاني - فينقسم قسمين : طلب دين ، وطلب دنيا ، فأمّا طلب الدين فيتعدّد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام :

١- سفر العِبْرة ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ من قَبْلِهِمْ ﴾ [الروم : ٩] وهو كثير . ويقال : إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها ، وقيل : لينفذ الحق فيها .

٢- السفر للحج ، والأول وإن كان ندبًا - أي مستحب - فهذا فرض .

٣- سفر الجهاد ، وله أحكامه .

٤- سفر المعاش ؛ فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه من صيد أو احتطاب أو احتشاش فهو فرض عليه !!

٥- سفر التجارة والكسب الزائد على القوت ، وذلك جائز بفضل الله سبحانه وتعالى ؛ قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٨] يعني التجارة ، وهي نعمة مَنَّ الله بها في سفر الحج ؛ فكيف إذا انفردت !

٦- السفر في طلب العلم ؛ وهو مشهور . (يعني في زمانه ،

دعوة خالصة
إلى كل
مسلم لهجر
الخطايا
والذنوب ،
وهجر
الضعف
والإهمال
والسرف
والكذب
والرياء وهجر
الأنانية
والصغائر
والسفاسف
حتى نكون
خير أُمة
أخرجت
للناس !!

وليس زماننا) .

٧- قصد البقاع ؛ قال ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » .

٨- السفر للثغور للرباط بها وتكثير سوادها للذب عنها .

٩- زيارة الإخوان في الله تعالى ؛ قال رسول الله ﷺ : « زار رجلٌ أخًا له في قرية ، فأرصد الله له ملكًا على مدرجته(١) ، فقال : أين تريد ؟ فقال : أريد أخًا لي في هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربُّها عليه ؟ قال : لا ؛ غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » . رواه مسلم وغيره .

❋ **الثالثة** : قال الخطابي - رحمه الله -: (كانت الهجرة إلى النبي ﷺ في أول الإسلام مطلوبة ، ثم افترضت - أي صارت فرضًا - لما هاجر إلى المدينة ، للقتال معه ﷺ ، وتعلم شرائع الدين ، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر ، فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ ﴾ [الأنفال : ٧٢] ، فلما فتحت مكة ، ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب) . اهـ .

قال البغوي في « شرح السنة » وهو يجمع بين انقطاع الهجرة واستمرارها ، قال : لا هجرة بعد الفتح ؛ أي من مكة إلى المدينة ، ولا تنقطع الهجرة من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام .

وقال الماوردي : (إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ؛ فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام) .

❋ **الرابعة** : قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في بيان معنى (لا هجرة بعد الفتح) من صحيح البخاري : (لا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون ، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة :

الأول : قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ، ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة .

الثاني : قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها - أي البلد الذي سيهاجر إليه - ومعونتهم ، وجهاد الكفار والأمن من غدرهم ، والراحة من رؤية المنكر بينهم .

المستتر بالمنكر يُنكر عليه ويستتر عليه ، والمظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية ، ولا يبقى له غيبة ، ولا ينبغي لأحد أن يتجسس على أحد من المسلمين!!

---

(١) مدرجته : طريقه .

الثالث : عاجز بعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة ، فإن حمل على نفسه ، وتكلف الخروج منها أُجر) . اهـ . من فتح الباري (ج ٦) .

✽ **الخامسة** : قال ابن مفلح - رحمه اللّه - في بيان حكم هجر أهل المعاصي : يُسنُ هجر من جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية ، وقيل : يجب إن ارتدع به ، وإلا كان مستحبًا ، وقيل : يجب هجره مطلقًا إلا من السلام بعد ثلاثة أيام ، وقيل : ترك السلام على من جهر بالمعاصي حتى يتوب منها فرض كفاية ، ويكره لبقية الناس تركه . ونقل عن الشيخ موفق الدين - رحمه اللّه - قوله : (كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع ، والنظر في كتبهم ، والاستماع لكلامهم) . قُلتُ - القائل الكاتب -: وهذا يعني أنهم علماء سوء ودعاة بدعة وضلالة .

أما غير المجاهر بالمعاصي ، وهو من يفعل المعصية سرًا فقد سئل الإمام أحمد : إذا علم من الرجل الفجور أنخبر به الناس ؟ قال : لا ، بل يستر عليه إلا أن يكون داعية . وقال القاضي : فإن كان يستتر بالمعاصي فظاهر كلام أحمد أنه لا يهجر .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللّه -: (المستتر بالمنكر ينكر عليه ويستر عليه ، والمظهر للمنكر يجب الإنكار عليه علانية ، ولا يبقى له غيبة) . وذكر المهدوي في «تفسيره» : إنه لا ينبغي لأحد أن يتجسس على أحد من المسلمين ، فإن اطلع منه على ريبة وجب أن يسترها ويعظه مع ذلك ويخوفه باللّه تعالى) .

أما هجر المسلم العدل في اعتقاده وأفعاله فقد ذكر العلماء أنه من كبائر الذنوب ؛ لحديث : «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ....» الحديث ، ومعلوم أن السنة الصحيحة قد نهت عن المعاداة والمقاطعة ، وأوجبت على المسلم أن يكون حبه في اللّه ، وبغضه في اللّه ، وقال النووي في «شرح مسلم» : قال العلماء رضي اللّه عنهم : إنما عفي عنها في الثلاثة ؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ، ونحو ذلك فعفي عنها في الثلاث ليزول ذلك العارض .

والهجر المحرم يزول بالسلام ، ولا ينبغي له أن يترك كلامه بعد السلام عليه ، وظاهر كلام الإمام أحمد - كما نقله العلماء - أنه لا يخرج من الهجرة بمجرد السلام، بل يعود إلى حاله مع المهجور قبل الهجرة...

✽ **السادسة** : قال العلاّمة محب الدين الخطيب - رحمه اللّه -: نحن

نحن
محتاجون
اليوم- من
معاني
الهجرة
وأهدافها
وحكمتها-
إلى أن ننخلع
في بيوتنا
عن الآداب
التي تخالف
الإسلام وأن
نعيد إلى
هذه البيوت
الصدق
والصراحة
والنبل
والاستقامة!

محتاجون اليوم – من معاني الهجرة وأهدافها وحكمتها – إلى أن ننخلع في بيوتنا عن الآداب التي تخالف الإسلام ، وأن نعيد إلى هذه البيوت الصدق والصراحة والنبل والاستقامة والاعتدال والمحبة والتعاون على الخير . فالبيت الإسلامي وطن إسلامي ، بل هو دولة إسلامية ، وقبل أن أتبجح فأنتقد ما خرج عن دائرتي من بيئات لا يفيدها انتقادي شيئًا ، يجب عليَّ أن أبدأ بمملكتي التي هي بيتي فأهاجر أنا ومن فيه من زوجة وبنات وبنين إلى ما يحبه اللَّه من الصدق ، هاربين من الكذب الذي يكرهه اللَّه ويلعن أهله في صريح كتابه ، ويجب أن أنخلع أنا وأهل بيتي من رذيلتي الإفراط والتفريط فنكون معتدلين في كل شيء ؛ لأن الاعتدال ميزان الإسلام ، ويجب أن نحب أنظمة الإسلام وآدابه محبة تمازج دماءنا ، فنتحرى هذه الأنظمة في أخلاقنا وأحوالنا وتصرفاتنا ومعاملة بعضنا لبعض ، (هاجرين) كل ما خالفها مما اقتبسناه عن الأغيار وخَذَلْنا به مقاصد الإسلام فضيعنا أغراضه الجوهرية .

إذا تربينا في بيوتنا على محبة الأنظمة الإسلامية ، وتأصل ذلك في أذواقنا وميولنا ، وتعودنا العمل به في مختلف ضروب الحياة ، فشا العمل به حينئذ من البيوت إلى الأسواق والأندية والمجتمعات ودواوين الحكم ، ولا يلبث الوطن كله بعد عشرات قليلة من السنين أن يتحول من وطن عاص للَّه ، إلى وطن مطيع للَّه ، ومن وطن تسود فيه الأنظمة التي يسخطها اللَّه ، إلى وطن تسود فيه الأنظمة التي أمر بها اللَّه .

فإلى الهجرة أيها المسلمون ...

إلى هجر الخطايا والذنوب في أعمالنا ، وأخلاقنا ، وتصرفاتنا .

إلى هجر ما يخالف أنظمة الإسلام في بيوتنا ، وما نقوم به من أعمالنا .

إلى هجر الضعف والعطالة والإهمال والسرف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير مواضعها .

إلى هجر الأنانية والصغائر والسفاسف مما أراد نبي الرحمة أن يطهر منه نفوس أمته ، حتى تكون خير أمة أُخرجت للناس كما أراد اللَّه لها .

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

رئيس التحرير

إذا تربينا في بيوتنا على محبة الأنظمة الإسلامية وتأصل ذلك في أذواقنا وميولنا وتعودنا العمل به في مختلف ضروب الحياة تحول الوطن كله من وطن عاص للَّه إلى وطن مطيع للَّه .

باب التفسير

سورة النجم

الحلقة رقم [١]

بقلم الدكتور / عبد العظيم بدوي

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ❁ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ❁ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ❁ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ❁ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ❁ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ❁ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ❁ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ❁ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ❁ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ❁ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ❁ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ❁ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❁ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❁ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ❁ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ❁ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ❁ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [الطور : ١- ١٨].

سورة مكية ، شأنها شأن السور المكية في الاهتمام بترسيخ العقيدة ، وبيان أصول الدين وأركان الإيمان ، وأهمها : الوحي ، والوحدانية ، والبعث بعد الموت ، وقد استفتحت السورة بالقسم على براءة النبي ﷺ ونزاهته عن الضلال والغي ، وأشارت إلى المُعلِّم الذي علَّم النبي ﷺ ، وأنه رآه مرتين على أصل خلقته ، ثم تحدثت السورة عن بطلان الآلهة المزعومة التي عُبدت من دون اللَّه ، وخصَّتْ بالذكر من هذه الآلهة : اللات والعزى ومناة ، ولقد كان العرب جعلوا لهذه الثلاثة تماثيل على هيئة إناث ، وزعموا أنها بنات اللَّه ، تعالى اللَّه عما قال الظالمون علوًّا كبيرًا ، فأبطل اللَّه تعالى هذا الزعم ، وبيّن لهم أنها لو كانت هذه القِسْمةُ بينهم وبين مخلوق آخر ، وهي جعلُهم لأنفسهم الذكور ، ولغيرهم الإناث ، لكانت قسمة جائرة ، غير منصفة ، فكيف ارتضوا للَّه ما لا يرضونه لأنفسهم .

وكانوا يعتقدون أن هذه الآلهة شفعاؤهم عند اللَّه ، فأبطل اللَّه هذا الاعتقاد ، وبين لهم أن الملائكة المقربين الذين ﴿ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] ، ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٠] ، ﴿ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] ، فكيف يرجون شفاعة الأصنام التي ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم : ٢٣] !؟

ثم تحدثت السورة عن اليوم الآخر ، وأن اللَّه يجزي كلَّ نفس بما كسبت ، وأنه : ﴿ لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ❁ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٨، ٣٩] .

ثم ذكرت بعض آيات قدرة اللَّه وعظمته ووحدانيته ، ثم خُتمت بالإنذار والوعيد : ﴿ أَزِفَتِ الآزِفَةُ ❁ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم : ٥٧، ٥٨] ، وأنكرت على المشركين إعراضهم عن هذا الحديث : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ❁ وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ ❁ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ❁ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ [النجم : ٥٩- ٦١] .

● تفسير الآيات :

اختلف العلماء في النجم ؛ فقال بعضهم : هو الثريا ، وقال بعضهم : هو الشعرى المذكور في آخر السورة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ [النجم : ٤٩] ، وهو نجم كانت العرب تعظمه وتعبده من دون اللَّه ، فأخبرهم اللَّه أنه سبحانه ربّ هذا الشعرى ، فهو أحقّ منه بالعبادة[1] .

وقال بعضهم : هذا القسم : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ ، أشبه ما يكون بالقسم المذكور في قوله تعالى : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [الواقعة : ٧٥، ٧٦] ، فقالوا : المراد بمواقع النجوم القرآن في تنزيله منجمًا أي مفرقًا ، فاللَّه سبحانه يقسم بكل نجم أي بكل جزء من القرآن وقت نزوله ، وكلٌ من هذه الأقوال له وجهٌ من الصحة .

فإذا قلنا : المراد بالنجم الثريّا أو الشعرى ، فيكون معنى القسم ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ ، أي : إذا سقط آخر الليل عند مجيء الفجر ، وإذا قلنا بالقول الثالث فقد ذكرنا معناه ، واللَّه أعلم بمراده .

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ هذا هو المقسم عليه . والرجل الضالّ هو الجاهل الذي يسير على غير طريق ، ويعمل بغير علم . والرجل الغاوي هو العالِم الذي يخالف علمه عَمَلَه ، فهو يعلم الحقَ ثم يخالفه إلى الباطل ، ويعلم الخير ثم يخالفه إلى الشرّ ، ويعلم الهدى ثم يخالفه إلى الضلالة ، والحالُ الأول حال النصارى ، والثاني حال اليهود ، والإسلام وسطٌ بين الطرفين ؛ ولذا أرشد أتباعه إلى الجمع بين العلم والعمل ، فمن عَلِم وعَمل فذلك رباني ، ومن عَمِلَ بغير علم فذلك ضالٌ ، ومن عَلِمَ ولم يَعْملْ فذلك غاوٍ ، وقد شهد اللَّه لنبيه ﷺ بأنه بريءٌ من الضلالة والغي ، ومعناه : أنه عامل بعلم ، فهو إذن على الصراط المستقيم ﴿ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٥٣] ، وهو الصراط الذي أمرنا اللَّه أن نسأله أن يهدينا إليه في قوله : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] بالعلم والعمل ، ﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ ﴾ وهم اليهود ، علموا الحق فلم يعملوا به ، ﴿ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] ، وهم النصارى عملوا بغير علم ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد : ٢٧] .

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ ، وإنما أوحي إليه علمٌ ، فهو يعمل به ولا يخالفه ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ

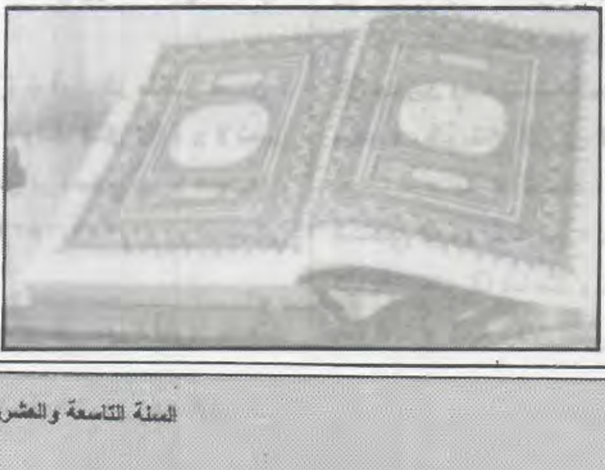

---

[1] كما أخبر عُباد الشمس والقمر أنه يجب أن يسجدوا للَّه الذي خلقهن ، فقال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات : ٣٧] .

الْهَوَى ﴾ ، لا يتكلم حسب هواه ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ، فهو متبعٌ لا مبتدع ، ومُبَلِّغٌ لا منشئ ، ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ ﴾ ، وهذا المُعلَّم المشارُ إلى وصفه هنا قد صُرِّحَ به في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۞ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٢- ١٩٥] ، كان جبريلُ عليه السلام ينزل على النبي ﷺ فيدنو منه ، ثم يقرأ عليه ما أمره الله بقراءته من القرآن الكريم ، وكان النبي ﷺ يخاف أن يَنْسَى شيئًا مما يقرؤه جبريل ، فكان يستعجل بالقراءة خلف جبريل ليحفظ عنه ، فنهاه الله عن ذلك ، فقال : ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٤] ، وتعهد له بجمع القرآن في صدره ، فلا يتفلت منه شيء ، فقال : ﴿ لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۞ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٦- ١٨] ، فلما نهى الله نبيه عن القراءة خلف جبريل ، وأمره بالتأني تكفل له بجمع القرآن الذي يسمعه كله في صدره فلا يغيب منه شيء ، وبتعليمه قراءته كما قرأه جبريل ، فلا يتغير منه شيء ، وبتفهيمه معناه حتى يبينه للناس كما أراد الله .

ومعنى ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أي : ذو منظر حسن ، وجَسَدٍ سليم قويّ ، ولذا قال ﷺ : ((لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مِرّة سوي)) . [صحيح ، رواه ابن ماجه (١/٥٨٩/١٨٣٩) ، والنسائي (٥/٩٩)] .

وقد وصف الله جبريل في سورة أخرى بصفات أخرى ، فقال : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۞ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۞ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير : ١٥- ٢١] ، فهو عليه السلام أمين على ما حمل ، فلا يكون منه تغيير ولا تبديل .

﴿ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ ، كان جبريلُ عليه السلام يأتي النبي ﷺ في هيئات وأشكال مختلفة ، لم يأته في صورته التي خلقه الله عليها ، إلا مرتين : الأولى في مكة عند البيت الحرام من جهة أجياد ، بينما النبي ﷺ عند البيت الحرام إذ رأى جبريل قد استوى في الأفق ، له ستمائة جناح ، قد سدّ بها الأفق ، ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ من رسول الله ﷺ ﴿ فَتَدَلَّى ﴾ ، ﴿ فَكَانَ ﴾ في اقترابه من رسول الله ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ، والقوس معروف ، فكان جبريل من رسول الله ﷺ قاب قوسين ، لا يزيد بل ربما ينقص ، أو أدنى من القوسين ، ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ أي : فأوحى جبريل إلى محمد عبد الله ، أو : فأوحى الله إلى عبده محمدٍ عن طريق جبريل ما أوحى ، ولم يأت تفسير ما أوحي إليه هذه المرة ، فلنسكت عما سكت عنه القرآن .

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ، لقد رأى النبي ﷺ جبريل وله ستمائة جناح ، وصدَّق قلبُه وبصره ، فلم يشك في أن الذي رآه هو جبريل ، أحيانًا ترى سوادًا أمامك ، فتظن أنه فلان ، لا تستطيع الجزم بأنه هو ؛ لبعده أو لعدم وضوح الرؤية ، حتى إذا دنا منك وتأكدت منه صدَّق قلبك بصرك ، أو كذبه ، لكن النبي ﷺ حين رأى جبريل

قد استوى بالأفق الأعلى ، له ستمائة جناح ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ ، ولم يشك لحظة في أن هذا الذي يراه هو جبريل ، ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ ؟ أفتجادلون محمدًا على ما يراه من جبريل ، وما يأتيه من الوحي ؟ فعلى أي شيء تستندون ؟ كما قال تعالى في سورة الطور : ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ [الطور : ٣٨] أي : يصعدون فيه إلى السماء ، فيستمعون إلى الملأ الأعلى ، فلم يسمعوا تكليف الله لجبريل أن يأتيك ، فهم إذن يكذبوك ، ﴿ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ وهيهات .

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ ، هذه هي المرة الثانية التي رأى فيها النبي ﷺ جبريل عليه السلام على أصل خِلْقته ، وكانت ﴿ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ﴾ ليلة المعراج ، والسدرة شجرة النبق ، وقد قال النبي ﷺ عند هذه السدرة : « ورقها كآذان الفِيَلة ، ونبقها كقلال هَجَر » . [مسلم (١٦٢)] .

وسميت سدرة المنتهى ؛ لأنها ينتهي إليها ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وقد ورد أنها في السماء السادسة أو السابعة ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ .

﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴾ قال ﷺ : « فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها » . [« صحيح مسلم »]

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ، قال العلماء : في هذه الآيات إشارة إلى أدب النبي ﷺ ، حيث لم يتعد إلى ما لم يؤذن له فيه ، بل ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ يمينًا ولا شمالاً ، ﴿ وما طغى ﴾ ، وما زاد على ما أذن له فيه ، ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ، وهذه الآية الكريمة فيها تحقيق ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ [الإسراء : ١] ، وإلى هنا ينتهي الكلام عن الوحي والرسالة ، وكيف كان جبريلُ يأتي النبي ﷺ ويُعلمه .

وللحديث بقية - إن شاء الله تعالى - حول الآيات (١٩ - ٣٠) من سورة « النجم » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تهنئة

يسر جماعة أنصار السنة المحمدية أن تهنئ الدكتور / نجاح عثمان أبو العينين إسماعيل ، المدرس المساعد بكلية التربية بدمياط - جامعة المنصورة ، والداعية بفرع المنصورة ، لنيله درجة الدكتوراه في الفقه الإسلامي من كلية الشريعة والقانون بالقاهرة بتقدير : مرتبة الشرف الأولى ، والرسالة بعنوان : « أثر القواعد الفقهية المختلف فيها في اختلاف الفقهاء دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي » .

وكانت لجنة الحكم والمناقشة مكونة من :

- أ . د / محمد أحمد الدهمي ، الأستاذ المتفرغ بالكلية ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية رئيسًا ومناقشًا .
- أ . د / عبد العزيز محمد عزام ، الأستاذ المتفرغ بالكلية ، والعميد الأسبق لكلية الشريعة والقانون بدمنهور مشرفًا .

أ . د / رمضان علي السيد الشرباصي ، أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية

صلح الحديبية

بقلم الرئيس العام

محمد صفوت نور الدين

الحمد لله رب العالمين ، هو الذي اختار رسوله واصطفاه وحببه لأصحابه حبًا بالغًا ، وجعل حبه شرطًا لصحة الإيمان ، وهو الذي قدر النجاح لدعوته ، وجعل الجهاد بينه وبين عدوه فنصره في منازل كثيرة ، وهو الذي نصره يوم الهجرة بأن صرف أعين المشركين عنه ، وأنجاه من سراقة بن مالك بأن ساخت يدا فرسه في الأرض الصلبة وكبا جواده ، ونصره يوم بدر بالملائكة تقاتل معه ، وحماه يوم أحد بشائعة سرت بين المشركين (أن محمدًا قد قتل) ، وحماه يوم الأحزاب بأن أرسل عليهم ريحًا وجنودًا وهزم الأحزاب وحده ، وحماه من بني النضير الذين اتفقوا على أن يلقوا عليه حجرًا وهو جالس إلى جوارهم فيقتلوه ، فحمى الله نبيه بوحي أوحاه إليه ، فخرج من بين أصحابه وهم لا يشعرون بعودته إلى المدينة ، واستمرت تلك الحماية حتى كان يوم الحديبية ، اليوم الذي جمع الله فيه لنبيه بين : عمرة ، وغزوة ، وصلح ، وبيعة ، سميت بيعة الرضوان ، وكانت من أفضل منازل المسلمين ، فكانت هي وبدر قد بشر أهلها بالجنة ، لا يدخل النار أحد شهد واحدة منهما .

فمن عجب أن ينزع بعض السفهاء والجهلاء كلمة من سياق طويل جميل يقص أحداث صلح الحديبية ، ويسمونه سفهًا وجهلاً منهم : « حديث النخامة » ردًا له وتكذيبًا .

لذا فإنني أسوق الحديث بطوله ، وأعلق على بعض فقراته لبيان بعض معانيه ، وإن كان الحديث يحتاج منا إلى مزيد تفصيل واستقصاء وبيان ، وآمل من القارئ الكريم الصبر على قراءة التعليقات في موضعها وتدبر مقاصدها ، فالحديث جميل جليل ، وهو من الأحاديث القليلة الطويلة في البخاري ، وقد يحتاج الأمر إلى إعادة القراءة أكثر من مرة ، فالصبر والتدبر من مفاتيح العلم .

أبدأ بما ساقه بعض السلف ، فقال : (ما كان فتح في الإسلام أفضل من صلح الحديبية ، ولكن الناس يعجلون لأنهم لا يعرفون ما بين محمد وربه ، والله لا يعجل لعجلة العباد) ، ثم أسوق الحديث :

عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان[1] ، يُصَدِّقُ كل واحد منهما حديث صاحبه ، قالا : خرج رسول الله ﷺ [من المدينة] زمن الحديبية [في بضع عشرة مائة من أصحابه ، فلما كان

---

[1] هذا الحديث مروي عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم عن بعض صحابة النبي ﷺ ، فالمسور صحابي سمع من النبي ﷺ بمكة ، قدم بعد الفتح مع أبيه ، فلم يشهد الحديبية ، بل مولده بعد الهجرة بسنتين ، قدم المدينة مع أبيه وعمره ست سنوات ، وكان يلزم عمر بن الخطاب ، وكان من أهل الفضل والدين ، مات في حصار عبد الله بن الزبير سنة ٦٤هـ .
أما مروان : فهو ابن الحكم ، أحد خلفاء دولة بني أمية ، لم يصح له سماع من النبي ﷺ ولا صحبة له .
قال ابن حجر : وقد سمع المسور ومروان من جماعة من الصحابة شهدوا هذه القصة كعمر ، وعثمان ، وعلي ، والمغيرة ، وأم سلمة ، وسهل بن حنيف ، وغيرهم ، ووقع في نفس هذا الحديث شيء يدل على أنه عن عمر .

بذي الحُلَيْفَةِ [1]قَلَّدَ الهدي ، وأشعره[1] ، وأحرم منها] [بعمرة ، وبعث عينًا له من خزاعة[2] ، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير (الأشطاط)[3] ، أتاه عينه ، قال : إن قريشًا جمعوا لك جموعًا ، وقد جمعوا لك الأحابيش[4] ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت ومانعوك ، فقال : « أشيروا أيُّها الناسُ عليَّ[5] ، أترون أن أميلَ إلى عيالهم وذراريِّ هؤلاء الذين يريدونَ أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان اللَّه قد قطع عينًا من المشركين ، وإلا تركناهم محروبين »[6] .

قال أبو بكر : يا رسول اللَّه ، خرجت عامدًا لهذا البيت ، لا تريد قتل أحدٍ ، ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدَّنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم اللَّه »[7]] ، حتى كانوا ببعض الطريق ، قال النبي ﷺ : « إن خالد بن الوليد بالغميم ، في خيل لقريش طليعة[8] ، فخذوا ذات اليمين » ، فواللَّه ما شعر بهم خالدٌ ، حتى إذا هم بقترة الجيش[9] ، فانطلق يركض نذيرًا لقريش ، وسار النبي ﷺ[10] ، حتى إذا كان بالثَّنِيةِ[11] التي يهبط عليهم منها ، بركت به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ ، فألَحَّتْ ، فقالوا : خَلأتِ القصواء[12] ، خلأت القصواءُ ، فقال النبي ﷺ : « ما خَلأتِ القصواء ، وما ذاك لها بخلقٍ[13] ، ولكن حبسها حابس الفيل »[14] . ثم قال : « والذي نفسي بيده ، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات اللَّه ؛ إلا أعطيتهم

(١ – ١) قلد الهدي : أي وضع في عنقه قلادة يعلم بها أنه هدي ، وأشعره بالبدن : شق في جلده شقًا يسيرًا يسيل منه الدم ليعلم أنها هدي ، وهو للإبل والبقر .

(٢) هو بشر بن سفيان الكعبي الخزاعي ، بعثه النبي ﷺ يتحسس أخبار قريش ، فلما تعرف عليها وافى النبي ﷺ بعسفان ، وأخبره خبر قريش ، وكانت خزاعة قد تحالفوا في الجاهلية مع بني هاشم ، فاستمروا على ذلك في الإسلام ، وفيه جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بصدقهم .

(٣) موضع قريب من (عسفان) كما في رواية أحمد (٣٢٨/٤) ، و(عسفان) على مرحلتين من مكة .

(٤) (الأحابيش) : الجماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة تحالفوا مع قريش حبًا للبيت وتعظيمًا لشعائر اللَّه وهم في جاهليتهم ووثنيتهم .

(٥) زاد أحمد : وكان أبو هريرة يقول : ما رأيت أحدًا قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول اللَّه ﷺ .

(٦) أي مسلوبين منهوبين . ولفظ أحمد : « ... تكن عنقًا قطعها اللَّه » . قال الحافظ : (والمراد أنه ﷺ استشار أصحابه هل يخالف الذين نصروا قريشًا إلى مواضعهم ، فيسبي أهلهم ، فإن جاءوا إلى نصرهم اشتغلوا بهم ، وانفرد هو وأصحابه بقريش ، وذلك المراد بقوله : « تكنِ عنقًا قطعها اللَّه » ، فأشار عليه أبو بكر بترك القتال) ، و(عنقًا) هكذا وقع في « المسند » (٣٢٨/٤) ، وهذا يعني أنه لا يقتل قريشًا بمكة البلد الحرام لحرمتها ، ولكن يميل على من ترك دياره لينصر قريشًا في حربها مع النبي ﷺ وصده عن المسجد الحرام ، وقد جاء معظمًا معتمرًا وقد ساق الهدي معه .

(٧) زاد أحمد : « فراحوا » .

(٨) طليعة : مقدمة الجيش .

(٩) قترة الجيش : غباره الأسود .

(١٠) فقال : « من يخرجنا على طريق غير طريقهم التي هم بها » ، فقال رجل من أسلم : أنا يا رسول اللَّه ، فسلك بهم طريقًا وعرًا ، فأخرجوا منها بعد أن شق عليهم وأفضوا إلى أرض سهلة ، فقال لهم : « استغفروا اللَّه » ففعلوا ، فقال : « والذي نفسي بيده إنها للحطة التي عرضت على بني إسرائيل فامتنعوا » . إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٨] ، يعني أنه قال : استغفروا اللَّه وامتنعت بنو إسرائيل لما طلب منهم موسى أن يقولوا : ﴿ حِطَّةٌ ﴾ .

(١١) فيه جواز الاستتار عن العدو ومباغتته بالجيش طلبًا لغرته ، وجواز ترك الطريق السهلة إلى الطريق الوعرة للمصلحة .

(١٢) الخلأ : للإبل كالحران للخيل ؛ أي امتنعت عن السير تعبًا وعنادًا . والقصواء اسم لناقة النبي ﷺ .

(١٣) فيه الحكم على الشيء بما عرف من عادته ، وأن من وقعت منه هفوة غير معهودة منه لا ينسب إليها ، حيث رد النبي ﷺ على من قال عن الناقة أنها خلأت ، أي : أصابها الحران ، فقال : « ما هو لها بخلق » .

(١٤) وقوله : « حبسها حابس الفيل » : أي حبسها اللَّه لحرمة مكة ، حتى لا يقع قتال بين مكة والمسلمين تسفك فيه الدماء ، علم اللَّه أن سيخرج من أصلابهم ، بل ومنهم من يسلمون ويجاهدون ، وكان بمكة مؤمنون مستضعفون رجال ونساء وأبناء ، وهذه من جملة الحكم العظيمة في أن حوّل اللَّه عمرة الحديبية إلى صلح وفتح .

إياها » ، ثم زجرها(١) ، فوثبت ، قال : فعَدَلَ عنهم ، حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمدٍ(٢) قليل الماء ، يتبرضه الناس تبرضًا ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه ، وشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهمًا من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله مازال يجيش لهم بالرِّي حتى صدروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُديل بن ورقاء الخزاعي في نفرٍ من خزاعة ، وكانوا عيبة(٣) نُصح رسول الله ﷺ من أهلَ تهامة ، فقال : إني تركت كعب بن لُؤَيٍّ ، وعامر بن لؤي ، نزلوا أعداد مياه الحديبية ، ومعهم العوذ المطافيل(٤) ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ : « إنا لم نجئ لقتال أحدٍ ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشًا قد نهكتهم(٥) الحربُ ، وأضرَّتْ بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدَّةً ويُخَلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جمُّوا(٦) ، وإن هم أبوا ، فوالذي نفسي بيده ؛ لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ، ولينفذن الله أمره »(٧) ، فقال بديلٌ : سأبلغهم ما تقول ، قال : فانطلق حتى أتى قريشًا ، قال : إنا قد جئناكم من هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ، فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تُخبرنا عنه بشيء ، وقالَ ذو الرأي منهم : هاتِ ما سمعته يقول . قال : سمعته يقول : كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ ، فقام عروة بن مسعود ، فقال : أيْ قومِ ، ألستم بالوالِدِ(٨) ؟ قالوا : بلى . قال : أوَ لست بالولد ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتهمونني ؟ قالوا : لا . قال : ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ(٩)(١٠) ، فلما بلحوا(١١) عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا : بلى . قال : فإن هذا قد عَرَضَ لكم خُطَّةَ رشدٍ ، اقبلوها(١٢) ، ودعوني آتيه . قالوا : ائته ، فأتاهُ ، فجعل يكلم النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ نحوًا من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت إن استأصلتَ أمر قومك ؛ هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإني والله لا أرى وجوهًا ، وإني لأرى

---

(١) أي الناقة ، فكأن رسول الله ﷺ لما رأى حال الناقة أعلن أنه يوافق على ما تريده قريش من معاهدة فيها صلح ، وصفه بقوله : « خطة يعظمون فيها حرمات الله » أي : خطة خير فيها النفع للناس جميعًا ، وفيها مرضاة الله سبحانه .

(٢) حفرة قليلة الماء ، وقوله : يتبرضه الناس تبرضًا ؛ يكتفون منه بالقليل يأخذونه قليلاً قليلاً بأكفهم .

(٣) أي : موضع سرّه وأمانته .

(٤) العوذ : جمع عائذ ، أي : النوق الحديثات النتاج ذات اللبن . و(المطافيل) : الأمهات التي معها أطفالها ؛ يعني جمعوا لقتاله كل ما يقدرون عليه .

(٥) بفتح الهاء أو كسرها . أي : أضعفت قوتهم .

(٦) قوله : (قد جمُّوا) أي : استراحوا من جهد القتال ، وجاء في رواية غير هذه : « وإن ظهر الناس عليَّ ، فذلك الذي يبغون » . وقوله : (حتى تنفرد سالفتي) ، أي : حتى تنفصل رقبتي عن بدني .

(٧) قال النبي ﷺ ذلك مع أنه جازم أن الله تعالى سينصره ويظهره على من سواه تحقيقًا لوعده سبحانه وتعالى ، وهذا من قبيل التنزل مع الخصم كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٢٤] ، وغيرها من نصوص القرآن التي جاءت في محاجَّة العدو تنزلاً معه واستدراجًا لإظهار الحق ؛ ولذا جاء في بعض الروايات : « فإن ظهر الناس عليَّ فذلك الذي يبتغون » . وفي السياق ما يفيد يقينه ﷺ بالنصوص في قوله : « ولينفذن الله أمره » . وفي السياق بذل النصح لقريش إبقاءً عليهم ، وصلة للرحم . وقد أنهكتهم الحرب . وفيه من القوة والثبات في تنفيذ = ما أمره الله به والثبات لحكمه تعالى .

وفي سياق القصة عند غير البخاري أن النبي ﷺ بالحديبية أحب أن يبعث رجلاً من أصحابه إلى قريش يعلمهم بأنه إنما قدم معتمرًا ، فدعا عمر فاعتذر بأنه لا عشيرة له بمكة ، فدعا عثمان فأرسله بذلك وأمره أن يعلم من بمكة من المؤمنين بأن الفرج قريب ، فأعلمهم عثمان بذلك ، وكان ذلك قبل مجيء عروة بن مسعود أو بعد مجيئه ، حيث أرسل النبي ﷺ إلى قريش من يبلغهم عنه ، وهما بديل بن ورقاء الخزاعي ، ثم عثمان بن عفان ، وكانت رسل قريش هم : عروة بن مسعود ، ثم الحليس من بني كنانة ، ثم مكرز بن حفص ، وآخرهم الوفد الذي فيه سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب .

(٨) قال ذلك لأن أمه هي سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ؛ يعني أنكم قوم ولدتموني وأمي منكم

(٩) عكاظ : اسم لسوق في نخل بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، يقيم العرب فيه سوقًا ، وكان أعظم أسواق العرب ويقيمونه في شوال ، وكان يحضره شعراؤهم ، وقد استنفر عروة الناس في السوق لنصرة قريش .

(١٠) أي : دعوتهم للقتال نصرة لكم .

(١١) فلما بلحوا : أي امتنعوا من الإجابة .

(١٢) اعترف بالحق في وصفه لدعوة النبي ﷺ للهدنة بأنها خطة رشد دفعًا لقول السفهاء منهم وحرصهم على القتال ، وهذا من خبرة عروة بأحوال الأمم ؛ لأنه كان يفد على الملوك ويعلم أحوال الشعوب ، فكان ناصحًا ، ولقد كان في حواره مع المسلمين بارعًا دقيقًا ، فكان أنصح مَنْ وفد من قبل قريش .

أشوابًا(١) من الناس ، خليقًا أن يفروا ويدعوك ! فقال له أبو بكر رضي اللَّه عنه : امصص بظر اللات ؛ أنحن نفرُّ عنه وندعه ؟ فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده ؛ لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك(٢) ، قال : وجعل يكلم النبي ﷺ ، فكلما تكلم أخذ بلحيته(٣) ، والمغيرة بن شعبة قائمٌ على رأس النبي ﷺ ، ومعه السيفُ ، وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول اللَّه ﷺ ؛ ضرب يدهُ بنعل السيف(٤) ، وقال له : أخِّرْ يدك عن لحية رسول اللَّه ﷺ ، فرفع عروة رأسه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبة ، فقال : أيْ غُدَرُ(٥) ! ألست أسعى في غدرتك(٦) ، وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء ، فأسلم ، فقال النبي ﷺ : « أمَّا الإسلامُ فأقبلُ ، وأما المالُ فلستُ منه في شيء » .

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه ، قال : فواللَّه ما تنخم رسول اللَّه ﷺ نخامةً ، إلا وقعت في كفّ رجلٍ منهم ، فدلَكَ بها وجهَهُ وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمْرَهُ ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدُّون إليه النظر تعظيمًا له ، فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أي قوم ، واللَّه لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر ، وكسرى ، والنجاشي ، واللَّه إن رأيت ملكًا قط يعظمهُ أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمدًا ، واللَّه ما تنَخَّمَ نُخامةً(٧) إلا وقعت في

---

(١) الاجتياح : الإهلاك . و(الأشواب) : الأخلاط من الناس ، كالأوشاب ، والأوباش ، والأمر بمص البظر من الشتوم الغليظة عند العرب . وانظر إلى هذه الكلمة من الصِّديق صاحب الرقة والأدب الجم ، وإنما فعل ذلك لأن عروة يعجبه أحوال الملوك ، وكذلك يكونون بالغلظة والشدة عند الحرب ، فأظهر الصحابة له تمام الالتفاف والتمسك بالنبي ﷺ وردًّا على قوله : (أشوابًا) ، فكانوا حوله كالجند حول الملك ليوقع الرعب في قلوب كفار قريش فيتركوا الحرب ويوافقوا على الصلح ويعقدوا العقد .
فأراد عروة أن يفت في عضد المسلمين ويبين أن هؤلاء الذين حولك يا محمد ليسوا من قبيلة واحدة ، بل من قبائل مختلفة يفرون إذا دخلوا إلى الحرب وتركوك ، ناسيًا أن رباط الإسلام ومودته أعظم من رباط القرابة ومودتها ؛ لذا جاء إظهار المسلمين بالمبالغة في التعظيم للنبي ﷺ حتى لنخامته ، وكان رد أبي بكر قويًا عنيفًا على عروة لـمَّا نسب الفرار للمسلمين ، وهذه من الأسلحة الحديثة في الجيوش ؛ حتى يهزموهم نفسيًّا ، فتقع الهزيمة العسكرية .
فتدبر ذلك الحوار ولا يُغفَل الموقف الذي وَقعتْ فيه ، فالقيام حول النبي ﷺ وهو قاعد من نوع القيام الممنوع ، لكن فعله بين يدي العدو مشروع لإرهابه ، ولما رأى النبي ﷺ يوم أحد أبا دجانة وقد أخذ من النبي ﷺ السيف موافقًا على أن يأخذه بحقه ، وجعل أبو دجانة يسير بين الصفين يتبختر ، قال النبي ﷺ : « إنها لمشية يبغضها اللَّه ، إلا في مثل هذا الموطن » .
فتدبر هذا ، وضع كل عمل في مناسبته يفتح اللَّه لك الفهم الصحيح .

(٢) في قول عروة : (لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك) ؛ لأن أبا بكر قد أعان عروة لما تحمل الديّة بعون حسن (عشر قلائص) ، وكأن عروة يقول : أنا أحفظ الإحسان وأنتم جئتم تحاربون قريشًا وهم آباؤكم وإخوانكم وأهلكم ، وكأنه أراد ألا يظهر الضعف عن الرد ، إنما ترك الرد إحسانًا منه مع قدرته عليه ، وهذا يظهر براعة عروة في الحوار ، وأنه لا يريد أن يشتت القول ، ولا أن يتشعب في الحديث ، وهذا مما تعلمه في مجالس الملوك .

(٣) قال الحافظ : كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ، ولا سيما عند الملاطفة ، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير ، لكن كان النبي ﷺ يفضي لعروة عن ذلك استمالة له ، وتألفًا ، والمغيرة يمنعه إجلالاً للنبي ﷺ وتعظيمًا .

(٤) هو ما يكون أسفل قراب السيف من فضة أو غيرها ، يضرب المغيرة يد عروة به زجرًا له عن أن يمد يده للحية النبي ﷺ .

(٥) (غُدَرُ) يعني : يا مَن فِعْلُه كله الغدر . وهذا أيضًا من حصافة عروة وسرعة بديهته في الرد دون أن يتشعب عن التفاوض الذي جاء من أجله .

(٦) أي : ألست أسعى في دفع شر غدرتك ، يشير عروة بهذا إلى ما وقع من المغيرة قبل إسلامه ، وقتله ثلاثة عشر نفرًا من ثقيف غدرًا ، فالمغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب ، وعروة عم أبيه .

(٧) قال الألباني - رحمه اللَّه - : فعلوا ذلك تبركًا به ﷺ وحبًّا له ، وقد أقرهم النبي ﷺ عليه لحكمةٍ بالغةٍ ، ظهرت فيما يأتي من القصة ، وقد جاءَ ما يُشعِرُ أن النبي ﷺ صرفهم عن ذلك في حادثة أخرى ، كما حققته في بعض مؤلفاتي . انظر « سلسلة الأحاديث الصحيحة » (٢٩٩٨) . اهـ .
وقد ساق الألباني ، رحمه اللَّه تعالى ، عند الحديث المذكور في « السلسلة الصحيحة » حديثًا قواه بطرق ذكرها قال : نزل بالنبي ﷺ أضياف من البحرين ، فدعا النبي ﷺ بوضوء فتوضأ ، فبادروا إلى وضوئه فشربوا ما أدركوه وما انصبت منه في الأرض فمسحوا به وجوههم ورءوسهم وصدورهم ، فقال النبي ﷺ : « ما دعاكم إلى ذلك ؟ » قالوا : حبًّا لك ، لعل اللَّه يحبنا يا رسول اللَّه ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « إن كنتم تحبون أن يحبكم اللَّه ورسوله فحافظوا على ثلاثة خصال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وحسن الجوار » . ثم ذكر شاهدًا جاء [illegible] : « من كان منكم يحب أن يحبه اللَّه ورسوله فليصدق الحديث، وليؤد الأمانة، ولا يؤذ جاره » .=

كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدون النظر إليه تعظيمًا له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشدٍ فاقبلوها ، فقال رجل من بني كنانة : دعوني آتيه ، فقالوا : ائته ، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ : « هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البُدْن ، فابعثوها له » ، فبُعِثَتْ له ، واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدُّوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه ، قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يُصَدوا عن البيت(١) ، فقام رجل منهم يقال له : مكرز بن حفص ، فقال : دعوني آتيه ، فقالوا : ائته ، فلما أشرف عليهم ، قال النبي ﷺ : « هذا مكرزٌ ، وهو رجل فاجر » ، فجعل يكلم النبي ﷺ ، فبينما هو يكلمه ، إذ جاء سهيل بن عمرو – قال معمر : فأخبرني أيوب عن عكرمة ، أنه لما جاء سهيل بن عمرو ، قال النبي ﷺ : « لقد سَهُلَ لكم من أمركم(٢) » . قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو ، فقال : هاتِ ، اكتب بيننا وبينكم كتابًا ، فدعا النبي ﷺ الكاتب(٣) ، فقال النبي ﷺ : « اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم » . قال سهيل : أما الرحمنُ ؛ فوالله ما أدري ما هو ؟ ولكن اكتب باسمك

= فتدبر كيف صرفهم النبي ﷺ إلى التبرك بالآثار وهو مشروع إلى العمل الصالح الذي لا يزول بزوال الآثار ، فماء الوضوء ينتهي وصالحات العمل تتجدد وتتسع لكل عامل ، فمن فقد ماء الوضوء لا يفقد صدق الحديث ولا حسن الجوار ولا أداء الأمانة .

وتدبر فإن الكثير وقف عند كلام عروة لوصفه أصحاب النبي ﷺ في معركة ينتظرونها ليظهروا للمفاوضين شدة الحب والتماسك وجميل الالتفاف حول النبي ﷺ ، حتى إنهم يدلكون جلودهم بالنخامة النبوية ، وفعل ذلك في ميدان المعركة الذي يضعف من عزم العدو يصير جميلاً في موضعه ، هذا وإن رغمت أنوف السفهاء .

ولو نظرت لعلمت حرمة القيام للجالس ، ومع ذلك كان المغيرة قائمًا عند رأس النبي ﷺ وهو جالس ؛ لأن المقام مقام غزو وحرب ، وإنما كان ذلك أمام عروة الذي تعجبه أبهة الملوك ، وفي اختيار المغيرة ليقوم هذا المقام بيان لعروة أن الحارث عندنا ثقفي وهو ابن عمك ، كل ذلك ليرجع إلى قريش بخبر عاينه يوصل إلى الهدف من الهدنة والعمرة التي جاءوا من أجلها ، فما أجهل أولئك الذين يعيبون هذا الأمر ويسمون الحديث الجميل الطويل في الحديبية يسمونه حديث النخامة ، وإنما عمدت إلى ذلك الحديث بطوله ليعلم من السياق الكامل للقصة مناسبتها ، وسوء القصد لمن انتزع العبارة من سياقها وجعلها عادة للصحابة ، وإن كان التبرك بآثار النبي ﷺ ثابت بالأحاديث الصحيحة ، ومن شاء فليراجع ما كتبته في باب السنة عدد شهر ذي الحجة ١٤١٦ هـ ، والصحابة لم يتبركوا بآثار أحد غير النبي ﷺ ، وفعلها في هذا الموطن إنما هو من قبيل جهاد العدو وإغاظته وبث الرعب في قلوبهم ، فالمبالغة في تعظيم النبي ﷺ بين يدي العدو يقابلها أن النبي ﷺ كان يجلس في مسجده لا يتميز عن أصحابه ، كما جاء في حديث ضمام بن ثعلبة لما وفد على النبي ﷺ فدخل المسجد ينظر للقوم قائلاً أيكم محمد ؟ قالوا : هذا الرجل الأبيض المتكئ ، فتدبر هذا لتعلم أن السياسة النبوية أبلغ سياسة للأمة ، تلك السياسة أخرج الله بها من أرذل أمة (أمة المقت) ، خير أمة أُخرجت للناس .

(١) والحوار في مجلس قريش قد حضره أكابر حلفائها يتفاوضون ، = تريد قريش أن تصد رسول الله ﷺ عن البيت تعنتًا منهم وكبرًا ، ولا تريد أن تخسر حلفاءها ؛ فتريد أن تظهر رسول الله ﷺ في صورة المعتدي الذي جاء يريد القتال والشر ، فلما جاءهم عروة بن مسعود وقد أعجبه ما رآه من المسلمين وجمعهم وتمسكهم بدينهم ، جاء دور الأحابيش ، وكان الحليس من بني كنانة من رءوسهم قال : (أبى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب ، حيث جاء للمسلمين مفاوضًا فدفعوا الهدي في وجهه فرآها قد عجفت من طول حبسها عاد وهو يقول : (هلكت قريش ورب الكعبة ، إن القوم إنما أتوا عمارًا) ، ولم يصل إلى النبي ﷺ ، وعاد يقول : يا معشر قريش ، ما على هذا عاقدتكم ، أيصد عن البيت من جاء معظمًا له ؟ فقالوا : كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى) .

وهكذا ظهر لحلفاء قريش ضعف حجتهم وسوء مقصدهم وسلامة مقصد النبي ﷺ وأصحابه ، وظهر أن العرب يعظمون حرمات البيت على بقايا دين إبراهيم ، ولكن قريش أخذتها العزة بالإثم بدعوى الجاهلية ، فصبوا ذلك في حوارهم ، وظهر ذلك كله في مفاوضة سهيل بن عمرو وما أملاه في العقد .

(٢) قال الألباني – رحمه الله –: هذا مرسل عكرمة ، فليس هو على شرط « الصحيح » ، وقال الحافظ : « ولم أقف على من وصله بذكر ابن عباسٍ فيه ، لكن له شاهد موصولٌ عند ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع ، وللطبراني نحوه من حديث عبد الله بن السائب » .

وحديث سلمة في « مصنف ابن أبي شيبة » (١٤/٤٤٠) ، رجاله ثقات غير مولى ابن عبيدة ، وهو ضعيف ، وفي إسناد الطبراني مؤمل بن وهب المخزومي ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٤٦/٦) : « تفرد عنه ابنه عبد الله ، وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

وأقول : عبد الله بن المؤمل ضعيف ، وأبوه مجهول ، وبيانه في كتابي الجديد « تيسير انتفاع الخلان بكتاب ثقات ابن حبان » يسر الله تمامه ونشره . اهـ (الألباني) .

(٣) هو علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

اللهم ، كما كنت تكتب ، فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال النبي ﷺ : « اكتب : باسمك اللهم » ، ثم قال : « هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسول الله » ، فقال سهيلٌ : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله ، فقال النبي ﷺ : « والله إني لرسول الله ، وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبد الله » - قال الزهري : وذلك لقوله : « لا يسألوني خطَّةً يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها » - فقال له النبي ﷺ : « على أن تخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به » . فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أُخِذنا ضَغْطَةً(١) ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا ، [وخليت بيننا وبينه ، فكره المسلمون ذلك ، وامتعضوا منه] ، قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلمًا ؟! [وأبى سهيلٌ إلا ذلك ، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك(٢)] ، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، يَرْسُفُ في قيودِه ، وقد خرج من أسفل مكة ، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد ! أول ما أقاضيك عليه أن تَرُدَّهُ إليَّ ، فقالَ النبي ﷺ : « إنَّا لم نقض الكتابَ بعدُ » ، قال : فوالله إذًا لم أصالحك على شيءٍ أبدًا ، قال النبي ﷺ : « فأجزه لي » . قال : ما أنا بمجيزه لك ، قال : « بلى ، فافعل » ، قال : ما أنا بفاعل ، قال مكرزٌ : بل قد أجزناهُ لك(٣) ، قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلمًا ، ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عُذِّب عذابًا شديدًا في الله ، [فردَّ يومئذٍ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأته أحدٌ من الرجال إلا ردَّهُ في تلك المدة وإن كان مسلمًا] ، فقال عمر بن الخطاب(٤) ،

---

(١) أي : دخل علينا مكة عنوة .

(٢) في رواية : (على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشًا ممن يتبع محمدًا لم يرده عليه) ، وكان سهيل بن عمرو قد أملى ما يحيك في صدره ، لكن حقق الله الخير للمسلمين بقدره ، وجعل تدبير المشركين فيه الخير الكامل للمسلمين ، وبيان ذلك أن عبد الله بن سهيل بن عمرو مع المسلمين يرجو أن يرجع إليه ، وأبو جندل بن سهيل بن عمرو مقيدًا في بيته بالقيود يخشى عليه أن يأتي مسلمًا فأملى العقد على ما يهوى ، وذلك جعله رب العزة باب فرج على المسلمين ، حيث كان هذا القيد الذي وضع في العقد اكتفى به المشركون ففكوا القيود من أرجل وأيدي أبنائهم المسلمين فخرجوا إلى المدينة فلم يؤووهم ، بل ردوهم وفاءً للعهد وعملاً بالعقد ، فذهبوا إلى ممر تجارة قريش فقطعوها فاستعانت قريش بالنبي ﷺ أن يقبل هؤلاء وينزل عن هذا البند من العقد ، والحمد لله الذي يمضي قدره ولو بيد أعدائه الكافرين ؛ لذلك سمى الله سبحانه هذا الصلح فتحًا ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] ، ولذلك جاء في حديث أنس عند مسلم : (إن قريشًا صالحت النبي ﷺ على أنه من جاء منكم لم نرده عليكم ، ومن جاءكم منا رددتموه إلينا ، فقالوا : يا رسول الله ، أنكتب هذا ؟ قال : « نعم ، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ، ومن جاء منهم إلينا فسيجعل الله له فرجًا ومخرجًا » ؛ لذا قال النبي ﷺ : (يا أبا جندل ، اصبر واحتسب ، فإنا لا نغدر ، وإن الله جاعل لك فرجًا ومخرجًا) .

● **فائدة** : كان لسهيل بن عمرو ولدان : الأول عبد الله ، وقد أسلم قبل الهجرة ، ثم هاجر إلى الحبشة ، فلما عاد منها حبسه = = أبوه سهيل بن عمرو ، فأظهر الرجوع عن دينه ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، فلما كان يوم بدر خرج مع أبيه ، فلما بلغ بدرًا فمر إلى النبي ﷺ وشهد بدرًا والمشاهد كلها ، وشهد الحديبية ، وكان من شهود العقد ، وقع عن المسلمين ، وكان لسهيل بن عمرو ولدًا أصغر منه هو أبو جندل ، كان قد أسلم فقيده أبوه ؛ ولذلك أملى سهيل في العقد ما أملاه ، يريد رجوع عبد الله عن إسلامه ، ويخشى أن يفر أبو جندل ، فيحب رجوعه إليه ، وكان في ذلك العقد تعبيرًا عما في نفس سهيل بن عمرو ، لكن الله خفف عن المستضعفين من المسلمين ، فخفف أهلهم قيودهم ، فكان فتحًا مبينًا ، وذلك هو الفرج والمخرج الذي ذكره النبي ﷺ ، فكان العقد كله خير ، مع أن الذي أملاه المشركون ، وهكذا كل نص وضعه بشر ، فإنما هو تعبير عما في نفوسهم ، ولكن كله بقدر الله الذي هو على كل شيء قدير

(٣) مكرز هذا هو الرجل الفاجر من قريش قال هذه الكلمة وافق فيها رسول الله ﷺ في رأيه في عدم رجوع أبي جندل مع أبيه ، قال : قد أجزناه لك ، وذلك يدل على أن المشركين لم يكونوا على قلب رجل واحد ، وكان كل واحد إنما يدعو لأمر يهواه .

(٤) كان الأمر شديدًا على المسلمين شدة بالغة ، ووقعت منهم مسائل لم يكد يسلم منها إلا أبو بكر الصِّديق لكمال إيمانه وعقله ويقينه ، فهذه منزلة الصديقين ، أما عمر وهو أعلى قمة في الإيمان بعد أبي بكر ، فمما حدث من عمر أنه وثب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه وهو مع أبيه وقال له عمر : (اصبر فإنما هم مشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال : ويدني قائمة السيف منه ، يقول عمر : رجوت أن يأخذه مني فيضرب أباه فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية) ، وكذلك يقول عمر : لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي ﷺ مراجعة ما راجعته مثلها قط . فقال : ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولم يحكم الله بيننا ؟ فقال : « يا ابن الخطاب ، إني رسول الله ولن يضيعني » ، فرجع متغيظًا فلم =

فأتيت نبي اللّه ﷺ ، فقلتُ : ألستَ نبي اللّه حقًا ؟ قال : « بلى » ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بلى » . قلت : فلِمَ نعطي الدَّنِيَّةَ في ديننا إذًا ؟ قال : « إني رسول اللّه ، ولست أعصيه ، وهو ناصري » . قلت : أوَ ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ، فنطوف به ؟ قال : « بلى ؛ فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ » قال : قلت : لا ، قال : « فإنك آتيه ، ومطوف به[1] » . قال : فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي اللّه حقًا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى ، قلت : فلم نُعطي الدنية في ديننا إذًا ؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول اللّه ﷺ ، وليس يعصي ربه ، وهو ناصره ، فاستمسك بغرزه[2] ، فواللّه إنه على الحق . قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى ؛ أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا ، قال : فإنك آتيه ، ومطوفٌ به[3] .

قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً[4] . قال : فلما فرغ من قضية الكتاب[5] ، قال رسول اللّه ﷺ لأصحابه : « قوموا فانحروا ، ثم احلقوا » . قال : فواللّه ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرات[6] ، فلما لم يقم منهم أحدٌ ؛ دخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي اللّه ، أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بُدُنَك ، وتدعو حالقك ، فيحلقك ، فخرج ، فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بُدُنَه ، ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك ، قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضًا[7] ، حتى كاد

= يصبر حتى جاء أبو بكر ، ولذا كان عمر يقول : اتهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول اللّه ﷺ برأيي ، قال : فرضي رسول اللّه ﷺ وأبيت حتى قال لي : « يا عمر ، تراني رضيت وتأبى » . وكان الصحابة لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول اللّه ﷺ ، فلما رأوا الصلح دخلهم في ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون) ، وكانت الرؤيا أن رسول اللّه ﷺ رأى في منامه أنه يعتمر ، وأنه دخل هو وأصحابه البيت ، فلما رأوا تأخير ذلك شق عليهم ، وكان الصحابة على رأي عمر باستنكار الصلح ، ولم يكن ذلك شكًا من عمر والصحابة ، بل طلبًا لكشف ما خفي عليهم وطلبًا لإذلال الكفار ونصرًا لدين اللّه ، ومع ذلك كان عمر يقول : مازلت أتصدق وأصوم وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به ، ويقول : لقد أعتقت لذلك رقابًا وصمت دهرًا . وتلك الأعمال التي صدرت من عمر هو فيها معذور ، بل عليها مأجور ؛ لأنه فعلها اجتهادًا ولم يعص فيها للّه ورسوله أمرًا إنما خفي عليه الحكمة ، ولقد خفيت من قبله مثلها على موسى مع الخضر عليهما السلام .

(١) يدل ذلك على أن الكلام يحمل على عموم لفظه وإطلاقه حتى تظهر إرادة التخصيص والتقييد ، وأن من حلف على فعل شيء ولم يذكر مدة معينة لا يحنث حتى تنقضي أيام حياته .

(٢) الغرز للإبل بمنزلة الركاب للفرس ، والمراد به التمسك بأمره ، وترك المخالفة له ، كالذي يمسك بركاب الفارس فلا يفارقه ؛ أي تعلق به واتبع قوله وفعله ولا تخالفه .

(٣) وهذا دلالة على أن أبا بكر كان أكمل الصحابة وأعرفهم بحال رسول اللّه ﷺ وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لأمر اللّه تعالى ، وكان قلبه على قلب رسول اللّه ﷺ سواء ، حتى إنه = أدرك ما لم يدركه عمر ، فضلاً عن غيره من الصحابة الكرام رضوان اللّه عليهم .

(٤) أي : من أنواع الحسنات مثل الصدقة والصوم والصلاة والعتق لتُذْهِب عني سيئ ما قلته يومئذ .

(٥) وقد أشهد النبي ﷺ على ذلك العقد رجالاً من المؤمنين والمشركين ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، وعبد اللّه بن سهيل بن عمرو ، وشهد على ذلك مكرز بن حفص وهو مشرك وسماه رسول اللّه ﷺ فاجرًا ، ومكرز هذا هو الذي جاء المدينة بعد بدر لما أسر سهيل بن عمرو وضع رجليه في القيد مكان سهيل حتى يرجع فيأتي بالفداء ، وقد مات على الكفر ، وأسلم سهيل وحسن إسلامه ، فللّه في خلقه شئون !

(٦) إنما كان ذلك من فرط الحزن الذي دخلهم ، ولغياب الحكمة الإلهية من ذلك وكانت البركة والخير في مشورة أم سلمة ، ولعل الصحابة رضوان اللّه عليهم كانوا يرجون من اللّه فرجًا بوحي ينزل على رسول اللّه ﷺ يدخلون به إلى الكعبة مُحْرِمين يطوفون ، فلم يقوموا حتى قام رسول اللّه ﷺ إلى هديه فنحره ثم أمر الحلاق فحلق له ، ولا يجوز مثل ذلك لمن بعدهم ؛ لأن الوحي قد كمل ، والشرع قد تم ؛ ولذا قالت أم سلمة رضي اللّه عنها : يا رسول اللّه ، لا تكلمهم فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ، ولعلها أدركت أن الصحابة فهموا أن التحلل رخصة ، وأن رسول اللّه ﷺ سيأخذ بالعزيمة فلا يتحلل ، فأشارت عليه بالتحلل لينفي عنهم هذا الاحتمال ، فلما فعل ذلك بادر الصحابة ففعلوا ، مع ما هم فيه من غم شديد . وفي ذلك فضل المشورة ، وفيه أن الفعل إذا أضيف إلى القول كان أبلغ في الحكم والبيان .

(٧) وروى ابن إسحاق عن ابن عباس قال : حلق رجال يومئذ وقصر آخرون ، فقال رسول اللّه ﷺ : « يرحم اللّه المحلقين » . قالوا : والمقصرين ، فقال : « يرحم اللّه المحلقين » . وقال في الثالثة : « والمقصرين » . قالوا : يا رسول اللّه ، لم ظاهرت للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : « لأنهم لم يشكوا » . وحديث الدعاء =

بعضهم يقتل بعضًا غمًا(١) .

ثم (وفي رواية : ولم يأته أحدٌ من الرجال إلا رده في تلك المدة ، وإن كان مسلمًا) ، وجاءه نسوة مؤمناتٌ [مهاجرات(٢) ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذٍ ، وهي عاتق(٣) ، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم ، فلم يرجعها إليهم] ، فأنزل الله تعالى (وفي رواية : لما أنزل الله فيهن) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾(٤) ، حتى بلغ : ﴿ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ ، فطلق عمر امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة ، فجاءه

= للمحلقين جاء في البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ، وجاء أيضًا عن أبي سعيد وحبشي بن جنادة ، ومجموع الأحاديث يدل على أن الدعاء تكرر في حجة الوداع ، ولعل ذلك لأن العرب كانوا يحبون توفير الشعر يتزينون به ، وكان الحلق فيهم قليل ، فدعا النبي ﷺ للمحلقين حثًا لهم على ذلك ، لأن الحلق أبلغ في العبادة وأبين للخضوع والذلة وأرجى لصدق النية ، والذي يقصر يبقي لنفسه شيئًا يتزين به بخلاف الحالق ، فإنه يشعر بأنه ترك ذلك لله تعالى .

(١) لله عز وجل حكم بالغة ، وإنما جعل المسلمين في هذه الشدائد ليرفع درجاتهم ويضاعف ثوابهم ، ومع ذلك جعل الله سبحانه هذا الصلح فتحًا مبينًا حيث لما انصرف رسول الله ﷺ من مكة نزلت عليه سورة الفتح . فما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية ، لأن الهدنة لما وقعت أمن الناس فكلم بعضهم بعضًا والتقوا وتفاوضوا في الحديث فدخل في هذه المدة كثير ممن دخل من المشركين ، ولقد دخل في هاتين السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر من صناديد قريش ، وكان ذلك مقدمة للفتح الأعظم ، فتح مكة ، فكان الأمر في الحديبية في صورته الظاهرة ضيمًا للمسلمين ، وفي الباطن عزًّا لهم ، حيث اختلط المشركون بالمسلمين بغير نكير عليهم ، وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الإسلام مجاهرين آمنين بعد أن كانوا لا يتكلمون بذلك إلا خفية وظهر من كان يخفي إسلامه ، فذل أهل الشرك وعز أهل الإسلام وعامل الله المشركين بضد مقصودهم ، بل إن الفتح في ذلك فك قيود المقيدين ؛ لأنهم إن ذهبوا إلى المدينة رجعوا بمقتضى العقد ، وكان في ذلك تخويف قريش من أبي بصير وأبي جندل على تجارتهم فطلبوا من النبي ﷺ أن يقبل هؤلاء فلا يردهم ، وكأنه هو الذي منعهم فصاروا بغرورهم أذلة ، وبكبرهم ضعفاء ، والحمد لله رب العالمين .

فتدبر أن ذلك وقع كما قال النبي ﷺ لأبي جندل : « إن الله جاعل لك فرجًا ومخرجًا » .

ولقد كان في الشهر الذي وقع فيه صلح الحديبية ذي الحجة من العام السادس رجوع النبي ﷺ إلى المدينة هو نفس الشهر الذي بعث فيه الرسول يدعو الملوك والزعماء للإسلام ، فأرسل رسلاً ، وكتب معهم كتبًا ، وأرسل بها إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وملوك اليمن ، فكان منهم من أسلم كالنجاشي ، ومن أحسن الرد بالقول كهرقل ، ومنهم من أهدى الهدايا للنبي ﷺ كالمقوقس ، ومنهم من أساء ذلك ككسرى ، فمزق الكتاب ، فدعى عليه النبي ﷺ أن يمزق ملكه ، فمزقه الله شر ممزق ، فكان حاطب بن أبي بلتعة رسوله إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب بن أسد رسوله إلى الحارث الغساني ، ودحية بن خليفة الكلبي رسوله إلى قيصر ، وهو هرقل ملك الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي رسوله إلى كسرى ملك الفرس ، وسليط بن عمرو العامري رسوله إلى هوذة بن علي الحنفي ، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، ومن الفتح في هذا الصلح أيضًا أن أمن الناس ، فكان فتح خيبر بغزو آخر معاقل اليهود ، ففاض بذلك المال ، ومن الفتح في هذا الصلح أن أمن الطريق ، فجاء من لم يكن يستطيع الهجرة ، فكان مجيء مهاجرة الحبشة جعفر بن أبي طالب ومن معه ، وكذلك قدوم أهل دوس الذين أسلموا على يد الطفيل بن عمرو الدوسي ، وكان معهم أبو هريرة ، فتدبر ذلك الفتح العظيم . وفوائد صلح الحديبية عظيمة كثيرة . والحمد لله رب العالمين .

(٢) ظاهره أنهن جئن مهاجرات إليه وهو بالحديبية ، وليس كذلك ، وإنما جئن إليه بعد في أثناء المدة . كما هو صريح الرواية الثانية . وكان ممن هاجر من النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وأميمة بنت بشر وسبيعة بنت الحارث الأسلمية وأم الحكم بنت سفيان وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة .

(٣) أي : شابة أو أشرفت على البلوغ .

(٤) وأخرج البخاري عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن بهذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٠- ١٢] ، فكان من أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله ﷺ : قد بايعتك كلامًا يكلمها به ، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة . وما بايعهن إلا بقوله .

أبو بصير ؛ رجلٌ من قريش ، وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهدَ الذي جعلت لنا ، فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به[1] ، حتى بلغا (ذا الحُليفة) ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا ، فاستله الآخر ، فقال : أجل ، والله إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت ، فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى برد[2] ، وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ﷺ حين رآه ، لقد رأى هذا ذُعرًا ، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال : قُتل والله صاحبي ، وإني لمقتولٌ ، فجاء أبو بصير ، فقال : يا نبي الله ، قد - والله - أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم . قال النبي ﷺ : « ويل أمه[3] ، مِسعَرُ حربٍ ، لو كان له أحدٌ » ، فلما سمع ذلك ، عَرَفَ أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر[4] ، قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل ، فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجلٌ قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله ما يسمعون بعيرٍ خرجت لقريش إلى الشام إلى اعترضوا لها ، فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم لَمَا أرسل[5] ، فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ﷺ إليهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ ، حتى بلغ : ﴿ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ ، وكانت حَميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ، ولم يقروا بـ ﴿ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم ﴾ ، وحالوا بينهم وبينَ البيتِ .

والحمد لله رب العالمين . فهذا نص حديث الحديبية جمعه الشيخ الألباني في « مختصر البخاري » ، جاء سؤال من أحد الفضلاء للمجلة عن أمر النخامة ، وهل كان الصحابة يدلكون جلودهم بها ، فذكرني ذلك بما يقع من بعض السفهاء الذين يردون الأحاديث بدعوى مخالفتها للعقل ، والحمد لله أنهم لا يملكون عقلاً ، إنما يجرون وراء الهوى ، وذلك طريق الضلال .

لكني أريد قبل أن أختم حديثي هذا أن أشير إلى أن المسلمين كانوا في حيرة وشدة وقد أرسلوا عثمان إلى قريش يفاوضهم وجاءت الشائعات بأن عثمان قُتل وبايع المسلمون الرسول ﷺ على ألا يفروا ، ولم يسأل أحدًا من الجن المسلمين أن ينظر لهم حال عثمان ، وتكررت مثل تلك المواقف الحرجة ، ولم يستعن فيها رسول الله ﷺ بجني مسلم ولا غيره ، مع أنه استعان في ذلك بخزاعة وكانوا على الشرك ، فتدبر أن هذا يرد قول كل من قال بجواز الاستعانة بالجن ، وقد بالغ كثير من الناس في ذلك مبالغات ممقوتة .

والحديث فيه فوائد كثيرة ، اكتفينا بما ذكرناه طلبًا للاختصار ، والله نسأل أن يرزقنا السداد والرشاد والهداية .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وكتبه : محمد صفوت نور الدين

---

[1] فقال له رسول الله ﷺ : « يا أبا بصير ، إن القوم صالحونا على ما علمت وإنا لا نغدر ، فالحق بقومك » ، فقال : أتردني إلى المشركين يفتنوني عن ديني ويعذبونني ؟ قال : « اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك فرجًا ومخرجًا » . (وفي رواية : أن عمر قال له : أنت رجل وهو رجل ومعك السيف) .

[2] أي : مات

[3] هي كلمة ذم تقولها العرب في المدح ، ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم ، لأن الويل : الهلاك .
(مسعر حرب) : قال الحافظ : أصله من مسعر حرب ، أي : يسعرها ويوقدها .
قال الخطابي : كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها ، (لو كان له أحد) : أي ينصره ويعاضده ويناصره ، وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين .

[4] أي ساحل البحر على ممر تجارة قريش ، واجتمع له عدد كبير بلغ به بعضهم أربعين ، وقيل : سبعين ، قطعوا الطريق على قريش ، فيهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو .

[5] أي : إلا أرسل : يعني إليهم كما في رواية أحمد ، أي : إلى أبي بصير وعصابته ، وزاد ابن إسحاق في « السيرة » (٣/٣٣٨) : « فآواهم رسول الله ﷺ فقدموا عليه المدينة » . فانظر إلى كيد = المشركين ومكرهم قد غلبهم الله فيه ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۞ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٥ ، ١٦] ، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٠] ، فلما كان المسلمون عاملين بأمر الله تعالى جعل الله كيدهم مردودًا ، وأرسل النبي ﷺ إليهم كتابًا فوصل الكتاب وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده فدفنه أبو جندل ، ثم قدم بمن معه إلى المدينة ، عندئذ علم الذين أشاروا بأن لا يسلم أبا جندل إلى أبيه ، علموا أن الخير في طاعة الرسول ﷺ ، وأنه أفضل وإن كرهوه . وفي القصة أن قتل المشرك المعتدي ليس غدرًا كما فعل أبو بصير ؛ لأنه دافع بذلك عن دينه ، وأنه لا قود عليه ولا دية . والظاهر أن النبي ﷺ ما كان يرد من جاءه مسلمًا إلا إذا أرسلوا في طلبه .

الهجرة بين الأمس واليوم وغدًا!!

كتبه : أبو محمد أشرف بن عوض السكندرية

بسم اللَّه ، والحمد للَّه ، والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، وبعد :

بالأمس البعيد وفي دار الندوة - برلمان مكة حينئذ - اجتمع سادة القوم بزعامة إبليس اللعين ، يعدهم ويمنيهم ؛ ليطفئوا النور الذي أضاء ، ويجتثوا الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء - محمدًا رسول اللَّه ﷺ - ولكن هيهات هيهات ، فما تركهم رب الضياء ، وما تخلى عنه رب الأرض والسماء .

وهاجر رسول اللَّه ﷺ إلى يثرب ، فالتف حوله المسلمون يناصرونه ، فنصرهم اللَّه وأمدهم بجنده ، ففتحوا البلاد ، وعبَّدوا العباد لرب العباد .

وأتم اللَّه نوره ، وأتت الشجرة أكلها كل حين بإذن ربها ، حتى جاء يوم خاطب فيه أميرهم سحابة تمر من فوقه : أمطري حيث شئتِ فسوف يأتيني خراجك .

واليوم في منظمة الأمم المتحدة - برلمان العالم حاليًا - يجتمع سادة العالم : (أمريكا ، فرنسا ، بريطانيا ، الصين ، روسيا ، أصحاب حق الفيتو في مجلس الأمن) بزعامة إسرائيل اللعينة تعِدهم وتمنيهم ؛ ليقطعوا أشعة هذا النور الذي أضاء ، وينتزعوا ثمار تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أتباع محمد ﷺ .

ابتداءً من اغتصاب اليهود لفلسطين المسلمة ، ومرورًا بحرب الخليج المُحكمة ، ومجاعة الصومال المعتمة ، ومذابح البوسنة وكوسوفا المؤلفة ، وما يجري الآن لإخواننا في الشيشان على أيدي الروس المجرمة ، كل هذا تحت سمع وبصر هذه المنظمة الظالمة .

ولكن هيهات هيهات ، فرغمًا عن كل هذه المؤامرات ، ووسط أمواج كالجبال ظهرت سفينة كسفينة نوح عليه السلام ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك ، شعارها : ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، ويهتف رُكَّابها بصوت عذب :

نحن الذين بايعوا محمدًا
على الجهاد ما بقينا أبدًا

وبحمد اللَّه يزداد رُكابها يومًا بعد يوم من كل لون وجنس .

وغدًا - قريبًا إن شاء اللَّه - يهيئ اللَّه لهذه السفينة رُبَّانًا ربانيًا يصل بالسفينة إلى البر آمنة مطمئنة (ما لم يبدل شعارها وهتافها) ، فينتشر النور ، وتؤتي الشجرة أكلها بإذن ربها من جديد ، ويشفي اللَّه صدور قوم مؤمنين ، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر اللَّه .

إن الذي حفظ محمدًا بالأمس أثناء هجرته لهو القادر - لا شريك له - أن يحفظ هذه السفينة اليوم ، حتى تصل غدًا ما دام رُكابها على دربه يسيرون ، ولكتاب ربهم يتحاكمون .

واللَّه من وراء القصد .

موضوع العدد

الفلاح المصري كما يراه اليهود*

بقلم الدكتور / أحمد إبراهيم خضر

كل فلاح مصري يغادر قريته متجهًا إلى المدينة للدراسة أو للعمل أو للزيارة يشكل خطرًا على اليهود ، وتتفاوت درجات هذا الخطر ؛ تعظم إذا سافر إلى القاهرة بالذات ، وتخف قليلاً إذا ذهب إلى عاصمة محافظته ، أو إلى مدينة من المدن التي تبعد عن قريته ، وإذا عاد إلى قريته بعد انتهاء مهمته في المدينة فهو مصدر خطر أيضًا .

الفلاح المصري - كما تقول دراسات الباحثين اليهود -: متميز عن أي فلاح آخر في بلاد ما يسمونه (بالشرق الأوسط) ، أو (الهلال الخصيب) بمواظبته على الصلاة في المسجد ، ولا تكاد تخلو قرية من قرى مصر من وجود مسجد بها يذهب الفلاحون إليه للصلاة .

القرية المصرية كانت لقرون عديدة تدفع بأبنائها إلى القاهرة لدراسة الدين في الأزهر ، وكان الأزهر إلى عهد قريب الطريق الأكثر تميزًا في تحقيق نقلة اجتماعية ذات قيمة لأبناء القرى .

إن العديد من العلماء ، بل إن أكثر من نصف شيوخ الأزهر ينحدرون من أصول ريفية ، كان الأزهر في الماضي قلعة الدفاع عن الدين ، وموقع مختلف الأنشطة الدينية ، أما اليوم فإنه تحت قبضة الحكومة ويخضع لإشرافٍ وضبطٍ قوي من جانبها ، فتحول إلى موقع مسالم يندر أن يجد فيه أي نشاط معاد للحكومة فرصة للظهور .

إذا تعلم الفلاح المصري فسيصبح يومًا خطرًا على اليهود ؛ لأنه قد يصبح عضوًا في جماعة إسلامية ، وإذا ذهب الفلاح المصري إلى القاهرة ، فأين سيقيم : في الجمالية ، أو في الدرب الأحمر ، أو في الحسينية ، أو في منطقة حزام الفقر القاهري ، أم سيقيم في الحلمية الجديدة أو القصر العيني ؟ وكل هذه المناطق لها دلالاتها عند اليهود .

أما إذا ذهب إلى المدن الكبرى في المحافظات ، فإن

> اليهود قلقون من البعث الديني في قرى النوبة ذات المستوى التعليمي المرتفع ، وقلقون من اتجاه نساء النوبة نحو الإسلام الصحيح ، لكنهم مطمئنون إلى أنها لا زالت بعيدة عن مرمى الجماعات الإسلامية .

---

* نقلاً عن مجلة البيان .

الخطر على اليهود قائم . هناك الجامعات الإقليمية ، وهناك فرص العمل ، ووسائل الراحة ، وهناك الجماعات الإسلامية أيضًا . أينما ذهب فإنها هناك سواء ذهب إلى الإسكندرية أو بور سعيد أو الزقازيق ، أو ذهب إلى طنطا ، أو نجع حمادي ، أو غيرها من مدن المحافظات التي لم يكن لها ذكر في الماضي على خريطة مصر السياسية .

إذا ذهب الفلاح المصري إلى الصلاة في المسجد أو في المدينة ، أو استمع إلى حلقات الدروس التي يتعلم فيها أصول دينه ، أو اشترك في جمعيات إسلامية خيرية ، فإن الخطر على اليهود قائم أيضًا .

من الخير للفلاح المصري - كما يرى الباحثون اليهود - أن يقرأ جريدة (اللواء الإسلامي) ؛ لأنها الجريدة التي أنشأتها الحكومة بغرض محاربة ما يسمى (بالنمو الخطِر للأصولية) .

لا ضرر من أن يستمع الفلاح المصري إلى إذاعة القرآن الكريم ، أو إلى البرامج الدينية في الراديو والتلفاز ، لكنهم يحذرون من دروس الشيخ الشعراوي الذي كانوا يرونه يومًا هذا الوزير الذي دفعته السلطات للدفاع عن الخط العصري ، ثم عادوا يعتبرونه اليوم أحد الأصوليين . على الفلاح المصري ألا يقرأ كتابات الشيخ كشك التي تذكرهم بكتابات الإمام حسن البنا ، ولا أن ينظر في مؤلفات سيد قطب .

لا ضرر من انضمام الفلاح المصري لحلقات الصوفية ، مع الحذر من أن تكون هذه الحلقات مَعْبرًا إلى الجماعات الإسلامية .

(القرية النوبية) قنبلة زمنية موقوتة يحسب لها اليهود حسابًا دقيقًا ، كما كان النصارى يفعلون من قبل ، فسلطوا عليها مركز بحوث الجامعة الأمريكية بالقاهرة لدراسة ما يسمى بالسلوك الديني للقروي النوبي .

اليهود قلقون من البعث الديني في قرى النوبة ذات المستوى التعليمي المرتفع ، وقلقون من اتجاه نساء النوبة نحو الإسلام الصحيح ، لكنهم مطمئنون إلى أنها لا زالت بعيدة عن مرمى الجماعات الإسلامية .

لقد فشلت الحركة الإسلامية- كما يرى الباحثون اليهود - في تجنيد أتباع لها في القرى المصرية ، لكن الحقيقة المفزعة هي أن القرية المصرية هي التي ولدت (حسن البنا) في المحمودية في عام ١٩٠٦ م . وأكد اليهود (لروبرت ميتشيل) أن (المحمودية) قرية وليست مدينة كما يتصور وهو يكتب عن تنظيم الإخوان المسلمين . (حسن الهضيبي) - خليفة البنا - ولد في قرية (عرب الصوالحة) في منطقة شبين عام ١٨٩٠ م . (سيد قطب) المحرك الأساسي للفكر (الأصولي) - كما يرى اليهود - ولد في قرية (موشا) بالقرب من أسيوط .

إن مدنًا مثل طنطا وأبوتيج والأقصر مثلاً كانت في الماضي مجرد مراكز تجارية إقليمية ، وأماكن للأضرحة والقباب

> انزعج اليهود من مسألة التعليم الرسمي في مصر ، لقد خُطط منذ عشرات السنين أن يؤدي التعليم إلى علمنة البلاد ، لكن الذي حدث بالفعل قد خيَّب الآمال .

والاحتفالات بالموالد ، تجذب إليها الكثير من الفلاحين المصريين ، لكنها اليوم - إلى جانب ذلك - تشكل مركز إمداد بما يسمى بـ (الفكر الأصولي) و (الجماعات الأصولية).

إن الفلاحين يرسلون أبناءهم إلى هذه المدن للدراسة . الموظفون يفضلون أداء صلاة الجمعة بها . إن مدن المحافظات تعتبر مراكز لنشر سلوكيات الإسلام الصحيح ، وهناك يتعرض الفلاحون لهذا (الفكر الأصولي) كما ظهر من تبني الطلاب من ذوي الأصول الريفية لهذا الفكر .

اهتمامات الباحثين اليهود بما يجري على الساحة المصرية لا حد لها ، ففي الوقت الذي انشغل فيه المراقبون بتطورات حركة الصحوة الإسلامية بما يسمونه بالمظاهر العنيفة لهذه الصحوة ، ودوافع قادتها ، كان الباحثون اليهود مشغولين بدراسة الأبعاد العميقة لهذه الصحوة ، وعلى الساحة المصرية بالذات .

انطلق الباحثون اليهود من مقدمتين أساسيتين بنوا عليها نتائج دراستهم ، تقول المقدمة الأولى عندهم : إن للإسلام مظهرين :

أولهما : هو الإسلام الصحيح (الذي يعتمد على الأصول) ، وهو مصدر الخطر الحقيقي عليهم ؛ لأنه يجمع حوله ما يسمونه بوقود التيار الأصولي والجماعات الإسلامية ، وخاصة المسلحة منها .

أما الثاني : فيسميه اليهود بالإسلام الشعبي ، وهو عبارة عن ممارسات للإسلام ذات جذور لا إسلامية بعضها فرعوني ، مثل الاحتفال بعروس النيل واحتفالات الزار ، والموالد ، وعبادة الأضرحة ، واستخدام التعاويذ والتمائم ، وأخذ العهد ، والحلقات الصوفية ، وكذلك ما يسلكه الناس في حياتهم اليومية على اعتبار أنه من الدين ، وهو في حقيقته عادات موروثة موغلة في القدم تعتبر من أقدم عادات الأمم في العالم .

أما المقدمة الثانية فتقول : إن السلوك الديني الشعبي ذا الجذور الإسلامية ينتشر في القرية المصرية ، أما سلوكيات الإسلام الصحيح فإنها ترتبط بسكان الحضر المتعلمين . لكن هذه الارتباطات ليست حادة ولا قاطعة ، حيث يمكن أن يختلط الإسلام ذو المظهر الشعبي بالإسلام الصحيح في القرية ، ويمكن أن توجد مظاهر عديدة لسلوكيات غير صحيحة للإسلام بين سكان المدن .

من هاتين المقدمتين انطلقت دراسات الباحثين اليهود فانكبوا على دراسة كل ما توافر لديهم من مصادر ومراجع قديمة وحديثه ، لعلها تفيدهم في فهم أبعاد الصحوة في مصر ، والتخطيط لمواجهتها بما يرونه مناسبًا .

انشغل الباحثون اليهود بمحاولة الإجابة على سؤالين هامين :

الأول : إلى أين تتجه الوفود المهاجرة من الريف المصري إلى المدينة : إلى الإسلام الصحيح ، أم إلى مظاهره غير الصحيحة التي تربت عليها ؟

الثاني : هل تفهم الحكومة المصرية وتعي جيدًا هذه القضية ، وماذا أعدت لمواجهتها ومدى قوة وفاعلية هذه المواجهة ؟

تابع اليهود بدايات الصدام بين دعاة الإسلام الصحيح ، ومظاهر السلوك الديني غير الصحيح منذ بداية القرن التاسع عشر . تركز هذا الصدام على شعائر الوفاة وزيارات الأضرحة واحتفالات الزار والحلقات الصوفية ، وقاده في بعض الأحيان الشباب العائد من القاهرة بعد دراسته في الأزهر ، وساعد على توقده تحسن وسائل الاتصال والمواصلات بين القرية والمدينة .

اليهود مطمئنون إلى أن مظاهر السلوك الديني غير الإسلامي لا زالت قائمة ومنتشرة ومستمرة ، بل إن جانبًا منها قد كسي بغطاء إسلامي . إنهم مطمئنون أيضًا إلى أن دعاة الإسلام الصحيح لم يتمكنوا بعد من القضاء تمامًا على هذه المظاهر . قارن اليهود قائمة الاحتفالات بالموالد والأولياء في القرن التاسع عشر بتلك القائمة الحديثة التي أعدها باحثون مثل (ماكفرسون) في الأربعينات ، و (بانيرث ودي جونج) في

الستينيات والسبعينيات . توصل اليهود إلى أن هناك انخفاضًا في كم الاحتفالات بها ، لكن الشعبية الكبيرة لأضرحة الحسين ، والسيدة زينب ، والإمام الشافعي طمأنتهم .

عاد اليهود إلى موقف الأزهر من هذه القضية تاريخيًا ، فتوصلوا إلى أن صلابة موقف الأزهر في الدفاع عن الإسلام الصحيح أصبحت في ذمة التاريخ . إنهم اليوم مطمئنون لنجاح الأزهر البالغ في تجنب الجدل الديني حول هذه القضية ، وقدرته على الدفاع عن هذه التركيبة التي تجمع بين الإسلام الصحيح ومظاهره الشعبية ، والفتاوى التي تصدر دفاعًا عن هذا الجانب أو ذاك .

ليست للمسلمين العصريين أية جذور عميقة في تربة الشعب المصري - كما يرى الباحثون اليهود - إنهم كحركة ظهرت بين الصفوة التابعة للفكر الغربي ، قابعون بأفكارهم في دوائر الحكومة ويكتبون في صحفها ، ويدخل الأزهريون الذين يعملون لصالح الحكومة ضمن فئة هؤلاء المسلمين العصريين ، وإن كانت الصحوة الإسلامية قد أوقعتهم في ورطة شديدة .

التغيرات الدينية في القرية المصرية بطيئة ، و (الفكر الأصولي) أقل انتشارًا في قرى مصر من مدنها . هذا شيء مطمئن ، لكن دخول هذا الفكر إلى القرية في صورة مواد مطبوعة ، أو عن طريق الزيارات المتكررة لباعة الكتب المتجولين ؛ ووجود هذا الفكر بين صفحات الكتب التي يحتفظ بها معلمو المدارس في مكتباتهم المتواضعة بمنازلهم شيء لا يطمئن . الطبيعة المحافظة للقرية المصرية حالت في نظر اليهود دون انضمام القرويين إلى تنظيم الإخوان المسلمين . لم يكن الفلاحون قادرين على وصل الهوة بين ما توارثوه وبين فكر الإخوان . هذا شيء طيب ، لكن الذي ليس بطيب هو أن الفلاحين المقيمين في المدن هم الذين انضموا لتنظيم الإخوان .

الذي يجري في القرية النوبية لا يطمئن اليهود . صحيحٌ أن الحركات الإسلامية المسلحة لم تنجح في جذب شباب النوبة ؛ لكن النوبيين بعد استيطانهم الجديد ، وبعد تغير قياداتهم التقليدية ، قد تخلصوا من الكثير من الشعائر ذات الأصل الوثني ، واعتدلت حفلاتهم الدينية ، وتقلصت حفلات الذكر والزار ، ويرجع الباحثون اليهود هذا التفكير الديني إلى حركة الذهاب والعودة المتكررة لأبناء النوبة إلى القاهرة من قرى النوبة ، فيعودون إلى أهليهم بأفكار صحيحة عن الإسلام .

انزعج اليهود من مسألة التعليم الرسمي في مصر ، لقد خُطط منذ عشرات السنين أن يؤدي التعليم إلى علمنة البلاد ، لكن الذي حدث بالفعل قد خيّب الآمال ، لقد أدى التعليم إلى تغيير الأنماط الاجتماعية الدينية في مصر لصالح (الفكر الأصولي) - كما يسميه اليهود - لم يعد يخفى على أحد ارتفاع المستوى التعليمي لشباب الجماعات الإسلامية ، إن نصف هؤلاء الشباب هم طلاب جامعات ، والعديد منهم خريجون مهنيون متعلمون ، وذلك على العكس تمامًا من الحالة التعليمية لأعضاء جماعة الإخوان المسلمين في الأربعينيات والخمسينيات . إن هذا الشباب قد درس العلم والتكنولوجيا ، وهم مؤهلون الآن لما يسميه اليهود بمرحلة (ما بعد العصر) ، وهي مرحلة تطهر الإسلام من شرور السيطرة الغربية وعادات الاستهلاك الترفي ؛ والعودة بالأخلاق إلى أحضان الإسلام . سيُمكّن هذا التعليم الشباب من فهم فكر سيد قطب الذي يحتاج إلى درجة عالية من التجريد ، كما حدث ويحدث مع رسائل حسن البنا ، وتساهم شرائط الفيديو والكاسيت بدور ملحوظ في هذا المجال .

ارتفاع المستوى التعليمي بين الرجال وانتشار أفكار الإسلام الصحيح ساعدهم على معارضة انغماس نسائهم في مظاهر السلوك الديني الخاطئ ، والمشاركة في حفلات الزار ، وامتد الأمر إلى مطالبة النساء بتخصيص أماكن لهن في المساجد للصلاة وللاستماع إلى

الدروس الدينية ، لقد حدث ذلك في القرى كما في المدن ، حتى المناطق البدوية في مصر اتجهت إلى الإسلام الصحيح فبنت المساجد واستعانت بأئمة لها من الحضر .

إن لإذاعة القرآن الكريم والبرامج الدينية في التلفاز المصري شعبية كبيرة بين الفلاحين ، لكن هذه الشعبية لا تقلق اليهود ، فهي شعبية ناتجة عن إشباع لحاجة (عاطفية) ، وليست (أيديولوجية) . الذي يزعجهم هو أن يبدأ الفلاحون في فهم معاني الآيات التي يستمعون إليها فهمًا صحيحًا . هنا سيتجاوز الاستماع حد النشوة والتأثر الروحي بصوت المقرئ إلى حد التفكر والعمل بها ، وهذا ما يحسب له اليهود ألف حساب .

القاهرة بالنسبة للباحثين اليهود هي المنطقة الوحيدة للأنشطة التي تمثل خطرًا حقيقيًّا على الحكومة وعلى اليهود معًا . القاهرة (إحصائيًّا) هي المستقبل البشري الأعظم للحركة الأصولية . (تاريخيًّا) انتقل حسن البنا من الإسماعيلية إلى القاهرة في عام ١٩٣٢ م . وكسب حافظ سلامة شهرته بعد أن رحل إليها من السويس .

تتفاوت أحياء القاهرة في خطورتها . يصعب على الجماعات الإسلامية - كما يرى الباحثون اليهود - أن تنشر أفكارها في أحياء الجمالية والدرب الأحمر والحسينية ، فهذه الأحياء تقليدية نسبيًا ، وتحتوي على أضرحة وقبور كثيرة ، لكن هذه الجماعات يمكن أن تجد لها أتباعًا في أحياء ما يسميه اليهود - بحزام الفقر القاهري - قد تجد هذه الجماعات صعوبة في التغلغل إلى الأحياء المركزية الوسطى بالقاهرة ، كما قد يصعب عليها نشر أفكارها بين أفراد الطبقات العليا - الوسطى ، كما حدث لجمعية الشبان المسلمين التي خسف دورها بسبب مخاطبتها لجماعة عالية المستوى اجتماعيًّا وسياسيًّا وتعليميًّا . لكن القادة الدينيين قد ينجحون في ممارسة دور أكبر في التأثير على أفراد الطبقة الدنيا الوسطى ، كما حدث مع الشيخين عبد الحميد كشك وحافظ سلامة ، وقد ينجحون أيضًا في نشر أفكارهم في أحياء منفتحة على الفكر العصري والفكر الأصولي معًا ، مثلما حصل مع الشيخ حسن البنا في حي الحلمية الجديدة .

الحكومة نفسها - في نظر الباحثين اليهود - قد تخدم هذا الفكر (الأصولي) عن غير قصد . إنها وهي تحاول استخدام الإسلام لصالحها تغذي السلوك الأصولي والتمسك بالإسلام بين أفراد الطبقات الدنيا من السكان ، كما حدث إبان فترة حكم السادات ، حيث ركزت الحكومة على المظاهر الخارجية للشعائر الإسلامية ، وحينما استعانت بعض الأحزاب السياسية ببعض المشايخ للمشاركة في برامجها السياسية التي بدأتها بتلاوة القرآن الكريم ، وقدمت تقاويم الصوم في شهر رمضان كهدايا .

لا زالت تجربة الإخوان وغيرهم من الإسلاميين في تقديم البرامج الثقافية والفصول المسائية لمساعدة الناس على فهم أمور دينهم عالقة في أذهان اليهود ، لذلك فإنهم يحذرون من هذه الجمعيات التي تعطي دروسًا في القرآن والدين في الأحياء المختلفة . إنها ستجذب بلا شك أعدادًا من المهاجرين من الريف ، وكذلك الجمعيات الخيرية والمساجد كلها مراكز تجنيد جاهزة يمكن أن تستغلها الجماعات الإسلامية .

أما كيف يستقبل القرويون المهاجرون إلى المدن الأفكار (الأصولية) والأفكار (القرآنية) بالذات ، فهي مسألة لا تزال تحت أعين الباحثين اليهود ، كما أن أعينهم تركز عليهم وتراقبهم في القاهرة والإسكندرية وغيرهما من المدن . هل سيسلكون الطريق إلى الإسلام الصحيح أم سيحافظون على عاداتهم التي قدموا بها من الريف !!

ما عرضناه هو جانب من جوانب اهتمامات الباحثين اليهود . كتبوه ونشروه دون أدنى اعتبار لإمكانية استفادتنا منه ؛ لأنهم واثقون من مقالة (موشى ديان) : (إن العرب لا يقرءون ، وإذا قرءوا لا يفهمون) .

والله من وراء القصد .

عامنا الهجري

شعر / عماد الألفي – دمياط – مجمع دار السلام

عامنا الهجري أهلاً   مرحبًا يا أغلى عام
هَبْ لنا منك الجوابَ   عن سؤالٍ لا ينام
هل أتيتَ إلى حمانا   حاملاً غصنَ السلام ؟
أم تُرى قد جئتَ فينا   مُعْلِنًا حربًا زؤام ؟
كلُّ عامٍ في التلاقي   عامُنا يرجو التنائي
يائسًا مما نلاقي   من عذابٍ واعتداءِ
كلُّ عامٍ كم نقولُ   هذا آخرُ الابتلاءِ
ثم يأتي بعدُ عامٌ   لا نرى كَشْفَ البلاءِ
أين دستورُ الإله ؟   تائه في الأرض شاردْ
أين يا مَنْ في حماه   والكثيرُ له مُعاندْ
دينُكم يا قومُ ليس   مصحفًا تحت الوسائدْ
أو حجابًا يقتنيه   كلُّ مَنْ يخشى المكائد
أو شعارًا زائفًا   من شعارات الجرائد
إنما الدينُ الحنيفُ   في عمارةِ المساجدْ
واتباع الصالحين   والهروبِ من المفاسد
والحياةِ على الشريعة   والتمسكِ بالعقائدْ
يا شعوبَ المصطفى الهادي الأمين   ارجعوا للدين والحق المبين
كي يكون العامُ هذا   منصفًا للمسلمين
كي يكونَ العامُ هذا   سالمًا دنيا ودين
وتكونوا خيرَ أمةٍ   أُخرِجَتْ للعالمين

أسئلة القراء
للعلاّمة
ناصر الدين الألباني
رحمه الله

☐ ما درجة حديث : « من قرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عشرين مرةٍ بنى الله لهُ قصرًا في الجنة » ؟

■ الجواب : **منكر** . أخرجه حميد بن زنجويه في « كتاب الترغيب » له ، من طريق حسين بن أبي زينب عن أبيه عن خالد بن زيد رفعه .

ذكره الحافظ في ترجمة خالد هذا من « الإصابة » ، وحكى أنه غير أبي أيوب الأنصاري ، ولم يتكلم على إسناده بشيء ، وكذلك صنع المناوي في « فيض القدير » ، وكأن ذلك لجهالته ، فإن الحسين هذا – وفي « الفيض » : الحسن – وأباه لم أجد من ذكرهما .

وفي المتن نكارة ، فقد جاء الحديث من ثلاثة أوجه بلفظ : « عشر مرات » . وقد خرجته في « الصحيحة » (٥٨٩) .

☐ ما درجة حديث : « هل تدرون ما يقولُ ربُّكم عزَّ وجلَّ ؟ قالوا : اللَّه ورسوله أعلم ، قالها ثلاثًا ، قال : قال عزَّ وجلَّ : وعزتي لا يصليها عبدٌ لوقتها إلا أدْخلته الجنة ، ومن صلى لغير وقتها إن شئتُ رحمتُه ، وإن شئتُ عذبتُهُ » ؟

■ الجواب : **منكر** . أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ١٣٤) من طريق يزيد بن قتيبة الجرشي : ثنا الفضل بن الأغر الكلابي عن أبيه عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : إن النبي ﷺ خرج على أصحابه يومًا فقال لهم . فذكره .

قُلْتُ : وهذا إسنادٌ ضعيف مظلم ، الفضل بن الأغر وأبوه لم أجد من ترجمهما .

ويزيد بن قتيبة الجرشي ، أورده ابن أبي حاتم (٢٨٤/٢/٤) ، وقال : (روى عن الفضل الأغر الكلابي ، روى عنه مسلم بن إبراهيم) ، ولم يزد .

ووقع عنده (الحرشي) بالحاء المهملة . واللَّه أعلم .

☐ ما درجة حديث : « من سبح اللَّه مائة بالغداةِ ، ومائةً بالعشيِّ ، كان كمن حج مائة مرةٍ ، ومَنْ حمدَ اللَّه مائةً بالغداة ، ومائةً بالعشيِّ ، كان كمنْ حمل على عاتقه فرسًا في سبيل اللَّه ، أو قال : غزا مائة غزوةٍ ، ومَنْ هللَ اللَّه مائةً بالغداة ومائةً بالعشي لم يأتِ في ذلك اليومِ أحدٌ بأكثر مما أتى ، إلا مَنْ قالَ مثلما قالَ ، أو زاد على مثل ما قالَ » .

■ الجواب : **ضعيف** . أخرجه الترمذي (٢٥٩/٢) من طريق أبي سفيان الحميري - هو سعيد بن يحيى الواسطي - عن الضحاك بن حُمْرة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول اللَّه ﷺ . فذكره ، وقال : (حديث حسن غريب) .

قُلْتُ : بل هو ضعيف الإسناد منكر المتن في نقدي ، فإن ابن حُمرَة بضم الحاء وفتح الراء ضعيف ، كما قال الحافظ في « التقريب » ، ولذلك تعقب الذهبي الترمذي بقوله : (وحسَّنه فلم يصنع شيئًا) .

☐ ما درجة حديث : « أفضل الأعمال الحبُّ في اللَّه ، والبغض في اللَّه » ؟

■ الجواب : **ضعيف** . أخرجه أبو داود (٤٥٩٩) من طريق يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر قال : قال رسول اللَّه ﷺ .

قُلْتُ : وهذا سند ضعيف من أجل الرجل الذي لم يسم ، فهو مجهول ، وأيضًا فإن يزيد بن أبي زياد وهو القرشي الهاشمي مولاهم الكوفي ضعيف لسوء حفظه .

☐ ما درجة حديث : « مفاتيحُ الجنةِ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّه » ؟

■ الجواب : **ضعيف** . أخرجه أحمد (٢٤٢/٥) ، والبزار (رقم٢- كشف الأستار) عن إسماعيل بن عياش عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول اللَّه ﷺ . فذكره . وقال البزار : (شهر لم يسمع من معاذ) .

قُلْتُ : وهذا إسناد ضعيف ، شهر ضعيف لسوء حفظه ، ثم إنه منقطع بين شهر ومعاذ ، كما أفاده البزار .

وإسماعيل بن عياش ثقة ، ولكنه ضعيف في روايته عن غير الشاميين ، وهذا منها ، فإن شيخه ابن أبي حسين مكي .

☐ ما درجة حديث : « جاءني جبريلُ فقال : يا محمدُ ، إذا توضأت فانتضحْ » ؟

■ الجواب : **منكر** . أخرجه الترمذي (٥٠/٧١/١) ، وابن ماجه (٤٦٣/١٥٧/١) ، والعقيلي في « الضعفاء » (ص ٨٥) من طريق الحسن بن علي الهاشمي عن عبد الرحمن الأعرج

قتل القبطي ، وإنما كان يريد فقط دفع ظلمه عن الإسرائيلي ، ولكن موسى عليه السلام كان معروفًا بالقوة البدنية ، فأدت ضربته إلى قتل القبطي دون قصد منه ؛ لذلك اعترف أن الذي حدث من عمل الشيطان ، أي من إغوائه ، فهو مضل واضح العداوة وواضح الضلال .

ولأن موسى عليه السلام قد آتاه اللَّه الحكم والعلم فقد عرف أن الذي وقع منه من إيعاذ الشيطان ، واعترف بخطئه ، واستغفر ربَّه مما بدر منه وإن كان لم يقصده ، وذلك لأنه من المحسنين ، قال موسى متضرعًا إلى اللَّه راجعًا إليه راجيًا مغفرته ورحمته : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ ؛ أي بالقتل الخطأ الذي وقع مني ، ﴿ فَاغْفِرْ لِي ﴾ ، فاستجاب له ربه ، ﴿ فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

❁ موسى يعاهد ربَّه :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص : ١٧] ؛ أي بما أنعمت عليَّ من نعمة القوة والهداية فلن أكون معينًا للظالمين الخارجين عن حدودك . وقد احتج أهل الفضل والعلم بهذه الآية على منع خدمة أهل الجور ومعونتهم في شيء من أمورهم ، وقد نقل الإمام القرطبي في « تفسيره » ذلك عن عطاء بن أبي رباح ، رحمه اللَّه ، حيث قال الفقيه التابعي : لا يحل لأحد أن يعين ظالمًا ولا يكتب له ولا يصحبه ، وإنه إن فعل شيئًا من ذلك فقد صار معينًا للظالمين .

❁ خطورة موقف موسى عليه السلام بعد قتل القبطي :

قال تعالى :﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ❁ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص : ١٨، ١٩] .

قال الإمام ابن كثير في « تفسيره » : أي أصبح موسى خائفًا من قتل القطبي أن يؤخذ به ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ أي : يتلفت من الخوف ينتظر الطلب وما يتحدث به الناس ، فإذا الإسرائيلي الذي خلَّصه بالأمس يخاصم قبطيًّا آخر ويستغيث بموسى لينصره على القبطي ، فقال له موسى : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي : ظاهر الغواية كثير الشر تخاصم من لا تستطيع دفع شرَّه عنك ، ثم عزم موسى عليه السلام على البطش بذلك القبطي فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى يريد البطش به لما سمعه يقول : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، فقال يدافع عن نفسه : ﴿ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ﴾ ، فلما سمعها ذلك القبطي ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده . اهـ .

فماذا نتوقع من فرعون حين يعلم أن موسى قتل قبطيًّا انتصارًا لإسرائيلي ؟ النتيجة معروفة ، لقد ظهر المستور وتأكدت عداوة موسى لفرعون وقومه مهما كان من أمر موسى وصلته بفرعون ، فهذا موسى الذي كان من المفروض أن يُقتل وهو وليد لقد حان قتله الآن ، وبالفعل أصدر فرعون أوامره بإحضار موسى وقتله فورًا ، فهل سيستطيع فرعون قتل موسى ؟ هذا ما سنعرفه بإذن اللَّه في لقائنا القادم ، لكني أذكرك بقوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ، ضعها أمام عينك .

وإلى لقاء آخر إن شاء اللَّه .

الزبير : حدثنا جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب ، فقال : « ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب ! تزفزفين ؟ » قالت : الحمى لا بارك الله فيها . فقال . فذكره .

ورواه ابن ماجه (٢/٣٤٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا نحوه دون القصة .

وفيه موسى بن عبيدة ضعيف .

وقد تم تخريج الحديث في « الصحيحة » (ج٣ برقم ١٢١٥) بزيادة فيه .

☐ ما درجة حديث : « إذا أنفق الرجلُ على أهلِه نفقة يَحْتَسِبُها ؛ فهي له صدقةٌ » ؟

■ الجواب : أخرجه البخاري (١/٢٠) ، والنسائي (١/٣٥٣) ، والطيالسي (ص ٨٦ رقم ٦١٥) ، والسياق له ، وكذا الطبراني في « المعجم الكبير » (١٧/١٩٦/٥٢٢ و٥٢٣) ، وابن حبان (٦/٢١٩/٤٢٢٤ و٤٢٢٥) من حديث أبي مسعود البدري مرفوعًا .

وفي رواية البخاري (٦/١٨٩) : « المسلم » بدل « الرجل » .

☐ ما درجة حديث : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أَجْرُهُ بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ؛ لا ينقصُ بعضهم أجر بعض شيئًا » ؟

■ الجواب : رواه البخاري (٢/١١٧ و١١٩ و١٢٠) ، ومسلم (٣/٩٠) ، وأبو داود (١/٢٦٧) ، والنسائي (١/٣٥١، ٣٥٢) ، والترمذي (١/١٣٠) وصححه ، وابن ماجه (٢/٤٤) ، وأحمد (٦/٤٤ و٩٩ و٢٧٨) ، والحميدي (١/١٣٣/٢٧٦) ، وابن أبي شيبة (٦/٥٨٢/٢١٢٠) ، وعبد الرزاق (٤/١٤٨/٧٢٧٥ و٩/١٢٨/١٦٦١٩) من حديث عائشة مرفوعًا .

☐ ما درجة حديث : « أسرعُ قبائل العربِ فَنَاءً قريش ، ويوشِكُ أنْ تَمُرَّ المرأة بالنَّعْلِ فتقول : إنَّ هذا نَعْلُ قُرَشِيٍّ » ؟

■ الجواب : أخرجه أحمد (٢/٣٣٦) : ثنا عمر بن سعد ، ثنا يحيى - يعني : ابن زكريا بن أبي زائدة - عن سعد بن طارق ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة مرفوعًا .

وهذا **إسناد صحيح** على شرط مسلم .

وأخرجه البزار (٣/٢٩٨/٢٧٨٨- كشف الأستار) ، وأبو يعلى في « مسنده » (١١/٦٨/٦٢٠٥) من طريق أبي داود الحفري عمر بن سعد به .

وفي « المجمع » (١٠/٢٨) : (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ببعضه ، والطبراني في « الأوسط » ، وقال : « هذه » بدل « هذا » ، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال « الصحيح ») .

وللحديث شاهد من رواية عائشة بلفظ : « يا عائشة ، قومك أسرع أمتي بي لحاقًا » .

والله تعالى أعلم .

الحلقة الثالثة

﴿ ولتُصْنَعَ على عَيْنِي ﴾

٥- تأمل كيف حكم اللَّه - وله السلطان العظيم والقدرة - أن لا يربى موسى ﷺ إلا على فراش فرعون بطعامه وشرابه، مع محبته وزوجته له.

٦- وانظر إلى «اللام» في قوله تعالى: ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾، والتي سمّاها العلماء لام الأمر التكويني، كيف دلَّت على قدرة اللَّه الذي سخر البحر لحمل موسى حملاً خفيفًا هينًا وإلقائه بالساحل أمام قصر فرعون؛ لتحمله الجواري إلى امرأة فرعون، من الذي هدى البحر إلى هذا الفعل وعلَّمه هذا العلم ودربه هذا التدريب وكأنه رجل مُعلَّم؟ ومن الذي هدى الجواري إلى صنيعهم؟ ومن الذي ألقى محبة موسى في قلب امرأة فرعون وفي قلب زوجها؟ أليس هو اللَّه ذو الحكمة البالغة والقدرة المقتدرة؟

٧- الأمة الواثقة في نصر اللَّه؛ عليها ألا تيأس من رحمة اللَّه مهما بلغ بها الضعف، ويجب ألا يستولي عليها الكسل عن السعي في إصلاح شأنها، وخاصة إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ اللَّه بني إسرائيل من فرعون.

٨- الأمة مادامت ذليلة مقهورة مستسلمة للضعف لا يقوم لها أمر دينها كما لا يقوم لها أمر دنياها.

٩- الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله، كما جرى لأمّ موسى من تلك المخاوف الطبيعية.

١٠- الإيمان يزيد وينقص؛ لقوله تعالى: ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، والمراد بالإيمان هنا زيادته وزيادة طمأنينته.

١١- عناية اللَّه بعباده الصالحين وأوليائه المتقين، حيث أحاط أم موسى ﷺ برحمته، وربط على قلبها لتزداد إيمانًا ويقينًا مع إيمانها.

١٢- ومن رحمته بأم موسى أن حرَّم على موسى المراضع؛ حتى يعود لأمه وينجز لها سبحانه وعده بردّه إليها، وتحت كفالة فرعون ونفقته.

١٣- المؤمن مع إيمانه بقدر اللَّه لا يهمل الأخذ بالأسباب المشروعة كما أمرت أم موسى أخته بتتبع أثره. ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١].

١٤- «فرِّق تسد»، هذا قانون الظلمة منذ زمن فرعون الذي جعل شعبه شيعًا.

✸ ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾:

الصنع: جعل الشيء على صفة معينة؛ كصنع صفائح الحديد قدورًا، وصنع الخشب أبوابًا، وصنع كل شيء بحسبه، وصنع الآدمي: معناه التربية البدنية والعقلية: التربية البدنية بالغذاء، والتربية العقلية بالآداب والأخلاق والعلوم النافعة، وفي الآية الكريمة إثبات العين للَّه سبحانه وتعالى بما يليق بجلاله وعظيم سلطانه، وفيها كذلك تأكيد المراقبة والعناية

العطاء يكون من غير مال القُصَّر !!

● **يسأل** : شاهين الباز أبو ملح – من قرية سند بسط – غربية :

عن معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٨] ؟

○ **الجواب** : يقول السعدي في تفسير الآية الكريمة : إذا حضر قسمة المواريث الأقارب غير الوارثين المستحقون من الفقراء فأعطوهما ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب ولا عناء ولا نصب ، فإن نفوسهم متشوفة إليه ، وقلوبهم متطلعة ، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم ، ويلاحظ في هذا المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان ، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر كما كان النبي ﷺ يقول : « إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه ، فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين » . أو كما قال ﷺ .

وكان الصحابة رضي اللَّه عنهم إذا بدت باكورة أشجارهم أتوا بها رسول اللَّه ﷺ فبرك عليها ، ونظر الى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك ، علمًا منه بشدة تشوفه إلى ذلك ، وهذا كله مع إمكان الإعطاء ، فإن لم يمكن ذلك لكونه حق سفهاء أو ثم أهم من ذلك فليقولوا لهم قولاً معروفًا يردونهم ردًا جميلاً بقول حسن غير فاحش ولا قبيح . (انتهى كلام السعدي) .

فالنظر في قول السعدي ، رحمه اللَّه تعالى ، يفيد أن العطاء يكون من غير مال القصَّر ، وأن يكون مما يقبل ذلك ، فلا يعطى من عقار أو أرض ، إنما يكون ذلك من ثوب تركه المتوفى ، أو متاع لا يضر الورثة بذله للمخالطين من المتشوفين لذلك ، وهذا حاصل ما ذكره كثير من المفسرين ، وقد ذكر ابن كثير أن الجمهور على أن الآية منسوخة .

العبرة في المغرب بغروب الشمس !!

● **كما يسأل** :

في شهر رمضان المعظم المؤذنون في قريتنا يؤذنون الفجر مع أذان الإذاعة ، وعند المغرب يتمهلون في الأذان ، فما الصحيح في ذلك ؟

○ **الجواب** : أن السائل من « سند بسط » ، وهي قرية على خط طول قريب جدًا من خط طول القاهرة بين ٣١ْ : ٣٠ ، ٣١.٣٠ً ، وهذا يعني التشابه مع مواقيت القاهرة ، إلا أن العبرة في المغرب بغروب الشمس ، وفي الفجر بطلوع الفجر الصادق ، وأن يظهر خيط على خط الأفق يتفجر من الظلمة الشديدة في مكان شروق الشمس .

ونسوق في ذلك كلامًا لابن حجر من « فتح الباري » في شرحه للحديث رقم (١٩٥٨) قال : (تنبيه) : من البدع المنكرة ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر نحو ثلث ساعة في رمضان وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام ، زعمًا ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة ، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس ، وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا ، فأخروا الفطر وعجلوا السحور ، وخالفوا السنة ، فلذلك قل عنهم الخير ، وكثر فيهم الشر . واللَّه المستعان . (انتهى) .

هذا ، وإن فروق التوقيت معتبرة ، والأدلة الكونية على المواقيت ظاهرة ، فضلاً عما يسر اللَّه عز وجل به من أجهزة تزيد الأمر وضوحًا . والحمد للَّه رب العالمين .

* * *

وحسيبًا ، وأنه عز وجل ضمن لهم الخير والنجاح والتمكين والسعة في الحياة والرزق والنصر ، وأعظم من هذا هو وقوع الأجر على الله تعالى ؛ إن هو مات في هجرته فإنه سيجدْ عنده عز وجل خير الجزاء : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٠]، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الحج : ٨٥] .

وفي الحديث المتفق عليه : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ، وإنما هي اليوم مفتوحة أمام المسلمين هجرة في سبيل العلم ، هجرة في سبيل الفضل ، هجرة في سبيل الكرامة ، هجرة لكل ما حرَمه الله عز وجل من زُور ومنكر : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المزمل : ٥] ، بل حفاظًا على حدود الله في الدماء والأموال والأعراض ، وكلها تجد عند الله الفضل والجزاء ما دامت خالصة لله وعملاً بمرضاته ، ولخير الأمة الإسلامية التي شاء الله أن تكون خير أمة .

الهجرة بناء ونظام ، من يوم وصل ﷺ إلى يثرب أخذ مباشرة في الإعداد وبناء الأمة الإسلامية في دارها الجديدة ، دار الانطلاق والعمل والجهاد ، فبدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، تلك المؤاخاة التي كانت أول لبنات القوة والقاعدة الأصيلة التي تتحرك منها وعليها جماعة المسلمين إلى الجهاد الذي أصبح واجبًا مقدسًا ، وكانت المؤاخاة تماسكًا قويًا في الصف الواحد حتى لا تستطيع المكايد أن تنفذ إلى الجماعة أو تنال منها ، تحدثنا السيرة عن نموذج اللبنات التي اصطفاها الله لغرس شجرة الإسلام ، ويسجله الكتاب ثناءً : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] ، آخى ﷺ بين سعد بن الربيع الأنصاري وبين عبد الرحمن بن عوف المهاجري في حديث البخاري : سماحة من سعد يقابلها نُبْلٌ وإباءٌ من عبد الرحمن رضي الله عنهما وعن الصحب جميعًا . قال سعد لأخيه : أقْسِمُ مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك أُطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، ويَرُدُّ عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ الحديث .

ثم أخذ ﷺ في بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حُوربت ، وتقام فيه الصلوات التي تربط المرء بربِّ العالمين ، يؤمهم ﷺ ويتعهدهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، من الغداة إلى العشي .

إن الصلاة صِلَةٌ وطهور ، وهو أول مسجد أسس على التقوى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

اللهم لا عَيْشَ إلا عيش الآخره
فاغفر للأنصار والمهاجره

يذكر ابن القيم رحمه الله عن الهجرة الواجبة اليوم : هجرة من عبودية غير الله إلى عبودية الله وحده ، هجرة من إمامة غير رسول الله ﷺ وتقليد الشيوخ إلى إمامته ﷺ طريق السلامة ، هجرة من كتب الضالين إلى كتاب الله الذكر الحكيم والصراط المستقيم ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه .

وبالله التوفيق .

الدعوة .. والدعاة !!

بقلم الدكتور / محمد أحمد المسيّر

الأستاذ بجامعة الأزهر

هناك تصور شائع يحسب أن كل أئمة المساجد دعاة .

ونحن نرفض هذا التصور ؛ لأن أئمة المساجد – في الأصل – موظفون لرعاية المساجد والإعلان بالصلاة وإمامة المسلمين في الأوقات الخمسة ، وهذه مهمة يكتفى فيها – لدى كثير من الدول الإسلامية – بقدر ضئيل من الثقافة الإسلامية ، أشبه ما يكون بمحو الأمية الدينية .

وكثير من هؤلاء إذا اعتلى المنبر لخطبة الجمعة يكون قد نسخها من بعض الكتب ، وقد لا يحسن قراءتها ، وتتحول خطبة الجمعة إلى حصة قراءة فاشلة .

وما هؤلاء بالدعاة !! ولا بهؤلاء تنهض الدعوة !!

إن الداعية رجل يحمل مؤهلات فطرية ومكتسبة ، ولديه مواهب فكرية ، وله بصيرة الحكيم ، وفراسة المؤمن ، ويعيش قضايا أمته وفكر عصره .

وهؤلاء الدعاة لا يقاسون بالكثرة ، وإنما يكفي في كل منطقة عدد قليل ، يمثلون مدارس اجتهادية ، ويلتف حولهم الناس لعلمهم وعملهم وإخلاصهم وحكمتهم .

وقد يكون هؤلاء الدعاة أئمة في مساجد ، أو أساتذة في جامعات أو مسئولين في الإعلام المقروء والمسموع والمرئي ، أو أطباء في مستشفى ، أو مهندسين في مصنع ، أو سفراء لبلادهم في دول العالم .

ولا ننسى أن الذين نشروا الإسلام في أقصى بلاد الدنيا كانوا تجارًا يعيشون بأخلاق الإسلام .

وقد قال رسول اللّه ﷺ في صحيح الحديث : « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر اللّه ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللّه وهم على ذلك » .

وجاء في حديث رواه أبو داود قول رسول اللّه ﷺ : « إن اللّه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

والمراد بالبعث ليس بعث النبوة ؛ لأن النبوة قد ختمت بسيدنا محمد ﷺ ، وإنما البعث بعث إيجاد وتدبير وعناية .

وإذا أراد اللّه أمرًا يسر له أسبابه .

والمسلمون اليوم مطالبون بإعداد الدعاة ، ويتحقق ذلك على المستوى العالمي بما يلي :

١ – إقامة معاهد العلم والجامعات في بلاد المسلمين المحرومة من التعليم .

٢ – زيادة المنح الدراسية لأبناء الجاليات الإسلامية ليتفقهوا في الدين ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

٣ – إنشاء مراكز البحوث والترجمة لملاحقة ما يقال عن الإسلام ورد الشبهات .

٤ – العناية بطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه إلى كل لغات العالم .

٥ – إحياء الأوقاف الإسلامية ، وتوجيه الاستثمارات الإسلامية إلى تنمية المجتمعات الإسلامية الفقيرة ، والنهوض بأبنائها وبناتها حتى لا تتلقفهم الأيدي الصليبية الحاقدة .

وعلى المستوى الإقليمي والمحلي بما يلي :

١ – ربط المسلم بالمسجد : فإن لذلك أهمية تربوية كبرى ، فالمسجد في الإسلام هو الجامع والجامعة ، وكل بقعة تتحول إلى مسجد تصبح بيتًا طاهرًا للّه يهرب منها الشيطان .

٢ – احترام العالم وتبجيله : أحد عوامل تربية الشباب ، فاحترام العالم هو احترام للدين نفسه ، وللعلم الذي يحمل أمانته ، وللرسالة التي يؤديها .

٣ – إقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد للصغار والكبار ، للرجال والنساء ؛ لأن القرآن هو حياة المسلم وشرفه وعرضه ومناط عزه وسعادته في الدنيا والآخرة .

٤ – إقامة المحاضرات والندوات الدائمة في المساجد ، وتعاقب العلماء عليها في مواقيت ثابتة حتى تصبح المساجد مراكز إشعاع فكري وثقافي .

٥ – الحرص على بناء المسجد الجامع ذي المرافق المتعددة ، فيختار في كل منطقة مسجد جامع تؤدى فيه الجمعة ، ويلقي فيه الخطبة إمام له مواهب خاصة ، ويلحق بالمسجد المستشفى ودار اليتيم والتأهيل المهني ومقر الزكاة ، بحيث يكون المسجد مستقلاً في مبناه المعد للصلاة ، ليس فوقه ولا تحته شيء ، وبجواره هذه المرافق العامة التي تساعد في النهضة الاقتصادية والاجتماعية للحي .

واللّه الموفق .

الهجرة
وعناية القرآن الكريم بها

بقلم فضيلة الشيخ / أحمد طه نصر

الهجرةُ مبادئ خالدة ، ومثلٌ عليا ، تُحدد للمسلمين هدفهم ليمضوا إلى غاياتهم في صدْق وجدٍّ ، وجديرٌ بنا ونحن نودع عامًا ونستقبل عامًا أنْ نحاسب أنفسنا حسابًا صادقًا ؛ ماذا قدَمنا لديننا ؟ وهل خُطانا على طريق العمل الجاد لإعلاء كلمة اللَّه وإبلاغ أمانة دعوته ، ولإصلاح حياة ومجتمع المسلمين ، بل وإلى إنقاذ البشرية مما تردّت فيه من جاهلية ووثنية ، فهل كانت دعوة الإسلام إلا دعوة إلى التوحيد الخالص للَّه رب العالمين ، إلى عزّ الدنيا وفوز الآخرة .

إن على كل مسلم يرجو لقاء ربه ، ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦] ، أن تتحول الهجرة في حياته إلى عمل نافع وسلوك راشد ، وعلى المسلمين كافة أن يهاجروا بأرواحهم وقلوبهم إلى اللَّه هداية واستغناء به عز وجل عمن سواه ، اعتصامًا بدينه بالكتاب الكريم عقيدة ومنهجًا وخُلقًا وتحاكمًا ، واقتداء بالنبي الأمين ﷺ الذي نُسأل عنه بين يدي اللَّه عز وجل بتحرّي سنته ، واتخاذه إمامًا لا نقدم بين يديه شيئًا ولا رأيًا ؛ لأنه ﷺ هو الأسوة الحسنة على طريق اللَّه المستقيم .

نظرة فحص ودراسة للقرآن الكريم نجده قد انبسط في تسجيله لقيم حادث الهجرة الذي عظم أمره وظهر أثره ، وتجلى قدره ، ودلّ على يقين وإيمان راسخ وثبات على الحق واعتزاز بالدين الحق ، يسجل القرآن رضاء اللَّه عن قوم أُخرجوا من ديارهم وأُجبروا على ترك أموالهم وديارهم ، وتحمل الاغتراب والمشقة والعذاب في سبيل العقيدة التي خالطت القلوب ، وامتزجت بالأرواح ، ويشهدُ لهم بصدقهم ؛ إذْ يسميهم بفعلهم حينما أسماهم المهاجرين ، ويشمل رضاه قومًا بالمدينة فتحوا قلوبهم لدين اللَّه الحق ، وفتحوا ديارهم لإخوانهم المهاجرين من أهل هذا الدين ، وأعانوهم وقاسموهم ما يملكون ، ويعرض من أخلاقهم ما سما بهم ، فقال سبحانه : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

مجالسه العلمية

وقد كانت مجالسه العلمية .. وإجاباته على الأسئلة الفقهية تتميز بالدقة والإيجاز والوضوح ، وكانت مجالسه تحف بها المهابة ، ومع ذلك كان يتخللها شيء من الترويح عن النفس بالفكاهة المهذبة التي تنقل سامعيه إلى جو باسم ومناخ أخوي مرغوب ، فقد كان يمثل شخصية العالم الجليل ، والداعية المثالي والفقيه المتمكن .

منهج الشيخ – رحمه الله

اعتمد الشيخ سيد سابق – رحمه الله – منهجًا يقوم على طرح التعصب للمذاهب مع عدم تجريح أصحابها والاستناد إلى أدلة من الكتاب والسنة والإجماع ، وتبسيط العبارة للقارئ بعيدًا عن تعقيد المصطلحات وعمق التعليلات ، والميل إلى التسهيل والتيسير على الناس ، والترخيص لهم فيما يقبل الترخيص ، فإن الله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ، وكما يكره أن تؤتى معصيته ، وحتى يحب الناس الدين ويقبلوا عليه ، كما يحرص على بيان الحكمة من التكليف ؛ اقتداء بالقرآن في تعليل الأحكام .

بُعد الشيخ عن الخلاف !!

وكان من التسهيل الذي اتبعه الشيخ في منهجه الذي ارتضاه في كتابه « فقه السنة » هو البعد عن ذكر الخلاف إلا ما لا بد منه ، فيذكر الأقوال في المسألة ، ويختار الراجح أو الأرجح في الغالب ، وأحيانًا يترك الأمر دون أن يرجح رأيًا ، حيث لم يتضح له الراجح ، أو تكافأت عنده الأقوال والأدلة ، فيرى من الأمانة أن يدع الأمر للقارئ يتحمل مسئولية اختياره أو يسأل عالمًا آخر ، وهذا ما لا يسع العالم غيره .

صلته بأنصار السنة المحمدية !!

لقد كان الشيخ سيد سابق – رحمه الله – على صلة بعلماء أنصار السنة المحمدية أمثال الشيخ حامد الفقي ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والشيخ محمد خليل هراس ، بل وعلى معرفة جيدة بالشيخ أبي الوفاء محمد درويش ، مؤسس أنصار السنة المحمدية بسوهاج ، والذي كان الشيخ سيد سابق يثني عليه كثيرًا ويقول : إنه قد استفاد من كتاباته وخاصة كتابه « معارف إسلامية » .

وظلت علاقة الشيخ برجال أنصار السنة المحمدية علاقة طيبة ، حتى بعد أن أعيد إشهار الجماعة ، فقد كان الشيخ رشاد الشافعي – رحمه الله – يدعوه إلى مقر الجماعة بعابدين لإلقاء الدروس والمحاضرات العلمية ، وكان – رحمه الله – يسعد بذلك كثيرًا ، وكان إقبال شيوخ وشباب أنصار السنة كبيرًا على محاضراته ، حيث كانت تمتلئ بهم الدار يوم حضوره إليها .

رحيل العالم الجليل .. الداعية والفقيه !!

كما كان – رحمه الله – من كُتَّاب مجلة التوحيد عند صدورها في السبعينات ، فجزاه الله خير الجزاء عما قدم من خدمات وعطاء في سبيل نشر عقيدة أهل السنة والجماعة . رحم الله عالمنا الجليل رحمة واسعة ، وأثابه في حياته الباقية على ما قدم في الحياة الفانية من جلائل الأعمال ، وجزاه عن العلم والإسلام والأمة خير ما يجزي العلماء العاملين والدعاة الصادقين .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

في الاقتصاد الإسلامي

بقلم / السيد عبد العال السيد

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، والمسلم يتعامل مع هذه النقطة على أنها من تعاليم الدين ، وبديهي أن الأمر غير موجود في النظام الرأسمالي الذي لا يفرق بين إنتاج السلع الضرورية التي يحتاجها المجتمع وتلك السلع الكمالية ، فالعبرة بالمكسب ولا يهم الإسراف في الكماليات بما لا طائل من ورائه .

■ **ثالثًا** : معايير التقييم لأي تغير في الدخل بالزيادة لأفراد المجتمع في ظل المنهج الإسلامي ليست من وضع البشر ، بل هي معايير وضعها اللَّه عز وجل ، وهذه المعايير ليست مادية فقط ، وإنما هي أخلاقية أيضًا ، ومن ثم يمكن القول بأن كل تغير يقترن بتعاليم اللَّه عز وجل فهو تقدم ، وأن كل تغير يبتعد بالإنسان المسلم عن اللَّه فهو تأخر ، فالزيادة كما ذكرنا لا بد أن تأتي من حلال وتُصرف في حلال ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

■ **رابعًا** : كل زيادة في الدخل الكلي للمجتمع ينبغي أن تكون مصحوبة بزيادة في دخول الفقراء حتى تُعتبر هذه الزيادة مظهر من مظاهر التقدم في ظل المنهج الإسلامي ، فإن استئثار الأغنياء بكل زيادة في الدخل لا يعتبر مظهرًا من مظاهر التقدم في ظل المنهج الإسلامي ، بل هو من مظاهر التخلف .

والإسلام الحنيف عندما فرض الزكاة واعتبرها ركن من أركان الإسلام ، قد أراد بذلك أن يحقق نوعًا من عدالة التوزيع للدخول بين أفراد المجتمع ، قال تعالى : ﴿ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ ﴾ [الحشر : ٧] ، فالشريعة الإسلامية تراعي حق الفرد ، ولا تهمل حق المجتمع ، والجدير بالذكر أن هذه العدالة تختلف كلية عن العدالة في ظل المفهوم الاشتراكي الذي يهدف إلى تذويب الفوارق بين الطبقات وتحقيق مساواة شبه مطلقة بين الجميع ، فيلجأ إلى إجراءات التأميم والمصادرة ، فالدين الإسلامي قد ذكر ذلك وأقره في القرآن . ذلك التفاوت في الطبقات قال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

■ **خامسًا** : قد يحدث انخفاض في دخول الأفراد في المجتمع المسلم في حالات معينة عندما ينزل ببلد إسلامي مجاعة أو أزمة اقتصادية أو كارثة أو غير ذلك ، هنا نجد أن الدين يلزم أفراده بأن يساعدوا إخوانهم وينقذوهم من الهلكة والضياع ، قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] ، والغاية من ذلك العمل ابتغاء رضوان اللَّه وغايته الجنة دون انتظار لأي مطالب أو مكاسب دنيوية .

■ **سادسًا** : الربحية في نفس المسلم في ظل

رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود : ١١٨] ، لا : نافية ، ويزالون : فعل مضارع ناقص مرفوع بثبوت النون ، والواو في محل رفع اسمه ، مختلفين خبره .

وقد يكون النفي قبلها مفهومًا من السياق ، ويشترط له أن يكون في جواب قسمٍ فعلُ جوابه مضارع ، مثل : تاللّـهِ تزالُ أمتنا بخير ما تمسكت بدينها ، أي لا تزال ، والخبر شبه الجملة ((بخير)) في محل نصب ، وما مصدرية ظرفية في محل نصب ، أي مدةَ تمسكها .

● **تنبيه** : ثمة فعلان في العربية بلفظ ((زال)) هذه في الماضي لكنهما يختلفان عن الناقصة في المعنى والمضارع ، وهما :

١- زال يَزِيلُ زَيْلاً ، أي ميَّز بين شيئين وفصل بينهما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ [يونس : ٢٨] أي فرقنا وميزنا بينهم ، وزيَّل هنا مشددة ، أما الناقصة فلا تستعمل مشددة .

٢- زال يزول زوالاً ، بمعنى هلك أو اضطرب ، ومنه قوله تعالى عن السماء والأرض : ﴿ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٤١] ، التاء : ضمير مبني في محل رفع فاعل زال ، وإنْ في الآية نافية بمعنى ما ، و﴿ أحد ﴾ فاعل مجرور لفظًا بمن الزائدة للتوكيد ، وهو في محل رفع ، والمعنى : ما أمسكهما أحد من بعده ، ولكن التركيب القرآني له بلاغته وإعجازه وجماله ، إذ تفيد ((مِنْ)) الزائدة لفظًا إحاطة النفي وشموله ، فالفعلان : زال يزيل ، وزال يزول تامان .

١٠- فتئ : وهي بمعنى زال وتعمل بشروط عملها ، ومنه قولك : ما فتئ المسلمون يذكرون أرضهم الضائعة في الأندلس وفلسطين ، المسلمون : اسم ما فتئ مرفوع بالواو ، يذكرون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، والواو : ضمير مبني في محل رفع فاعل ، والجملة في محل نصب خبر ما فتئ ، ويحذف حرف النفي معها قياسًا كما في ﴿ قَالُواْ تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٥] ، حيث أقسم إخوة يوسف أن أباهم ما يزال يذكر يوسف ، وحذف النفي معها هنا قياسي لوقوعها في أسلوب قسمٍ فعلُ جوابه مضارعٌ ، واسم تفتأ ضمير مستتر وجوبًا تقديره أنت ، وخبرها الجملة الفعلية ﴿ تذكر ﴾ في محل نصب ، و﴿ يوسف ﴾ : مفعول به .

١١- بَرِحَ : وهي بمعنى زال وتعمل عملها مثل : ما برح المسلمون راغبين في التقدم العلمي ، وقد تكون تامة بمعنى انتقل كقولك : برح الولد مكانه ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف : ٦٠] ، اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : إنها الناقصة بمعنى لا أزال ، وخبرها محذوف لدلالة السياق عليه ، وقال آخرون : إنها تامة بمعنى لا أزال متابعًا السفرَ حتى أصل مجمعَ البحرين ، فيكون برح بمعنى فارق . [راجع : ((البحر المحيط)) : (٧/١٩٨)] .

١٢- انفكَّ : وهي كأخواتها السابقة ، ومنه قولك : الطالبان ما انفكا مجتهدين ، وتأتي تامة مثل : انفكَّ القيدُ وفككته ، أي حللته .

١٣- دام : وتفيد مع معموليها استمرار المعنى الذي قبلها مدة ثبوت معنى الخبر للاسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣١] ، أي أصلي وأزكي مدة دوامي حيًا ، أي مدة ثبوت معنى الخبر ((حيًّا)) لاسمها وهو ياء المتكلم ضمير عيسى عليه السلام ، ويشترط لها أن تكون بلفظ الماضي وتسبقها ما المصدرية الظرفية ، وأن يسبقها كلام كما في الشاهد ، وألا يتقدم خبرها عليها ، ومن ذلك قول بني إسرائيل لموسى حين أُمروا بدخول القدس وفيها قوم أشداء : ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ، الواو : ضمير مبني في محل رفع اسم دام ، وشبه الجملة ((فيها)) في محل نصب خبرها ، أي ما داموا مستقرين فيها .

وتستعمل تامة كما في قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ [هود : ١٠٧] ، أي : ما بقيت السماوات والأرض ، و﴿ ما ﴾ مصدرية ظرفية في محل نصب ، والسماوات : فاعل دام .

● **من صور الإعجاز في لغة القرآن الكريم :**

القرآن كتاب العلم الأكبر ومعجزة الإسلام الخالدة إلى يوم الدين ، ولا شك أن أول مظاهر إعجازه تكمن في لغته التي أخذت من ألفاظ العرب وأساليبهم ، ولكنها ارتقت وسمت إلى آفاق جمالية وبلاغية أعجزتْ أهل البيان والفصاحة .

ومن مظاهر الإعجاز التي لا تُحصى في لغة القرآن الكريم أنه لا يستعمل لفظين من أصلين لغويين مختلفين للدلالة على معنى واحد ، وهو ما يُعرف في اللغة بظاهرة الترادف اللفظي ، وقد توصلتُ إلى ذلك بعد تحليلٍ دقيقٍ لبعض من لغة القرآن الكريم وفقَ أصول التحليل اللغوي السياقي ، واللغة العربية المستعملة في عصر القرآن كانت تمثل عدة مستويات ولهجات متنوعة ؛ ولذا جاز فيها وقوع الترادف ، ولكن القرآن يمثل مستوى لغويًا واحدًا ، وقد نزل بلغة قريش ؛

والثاني هو الدكتور رولاند إميل لاهي ، الخبير الاستشاري بالبنك الدولي للإنشاء والتعمير في مشروعات الدول النامية ، وهو كندي الجنسية .

والثالث هو الدكتور فرانسوا بندرينك ، أكبر محام في بروكسل ببلجيكا ، وقد أرسل إلى الدكتور الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف يطلب منحة دراسية خاصة بالأزهر لدراسة الإسلام واللغة العربية ، حيث قرر إغلاق مكتبه الخاص والحضور إلى مصر للدراسة والعودة مرة أخرى إلى بلاده ، وقد استجاب الوزير لطلبه بشأن تخصيص المنحة الدراسية ، وبدأت إجراءات التنفيذ .

ومن قبل هؤلاء بشهور أشهر إسلامه أمام شيخ الأزهر خبير مضخات بترولية أمريكي سمى نفسه أحمد بريان بدلاً من اسم (ريتشارد) .

أعود مرة أخرى إلى الفاتيكان فأقول : إن تتابع هذه الأخبار عن المد الإسلامي وانتشاره بين هؤلاء المثقفين بين لنا أن البابا لم يكن مخلصًا في دعوته إلى ضرورة إيجاد حوار بين الكنيسة وعلماء الإسلام .. بل لعله كان يتصور – واهمًا – أن نتيجة هذا الحوار ستكون في صالح الصليبية ، فقد نشرت صحيفة ((الهيرالدتربيون)) الواسعة الانتشار دراسة تقول فيها : إن البابا منزعج ؛ لأن المبادئ الإسلامية تلقى قبولاً واسعًا في إفريقيا وآسيا ، وأن المد الإسلامي يهدد التبشير بالمسيحية رغم قصور الإمكانيات الإسلامية وتضخم المساعدات التي تقدمها الكنيسة .

ونحن نقول لكل من يهمه أمر الإسلام في مصر وخارج مصر : إن الدعوة إلى اللَّه تستدعي بذل أقصى الجهود الممكنة لعرض الإسلام على غير المسلمين عرضًا سليمًا دقيقًا حكيمًا ، وإذا كانت المساعدات التي تقدمها الكنيسة مساعدات ضخمة كما هو الواقع الفعلي فلا يجوز أبدًا أن نقابل ذلك بالقصور في الإمكانيات الإسلامية ، ولا يجوز أن ننسى أن رسول اللَّه ﷺ قام بدعوة سائر القوى السياسية المحيطة بأرض الجزيرة إلى الدخول في الإسلام ، فأرسل رسله إلى هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، ونجاشي الحبشة ، وإلى الحارث الغساني ملك الحيرة ، وإلى عامل كسرى في اليمن ، وإلى أمير البحرين ، وأمير اليمامة .

وقد كانت مخاطبة الملوك وأصحاب الشأن خطوة جديدة للخروج بالدعوة من نطاقها المحدود إلى نطاق عالمي غير محدود ، لقد دعاهم رسول اللَّه ﷺ إلى الإسلام ، وقال لهم في آخر دعوته : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

فعلينا نحن أيضًا أن نعمل على إيقاف التبشير الصليبي وعلى نشر الإسلام والتعريف به ، حتى يدخل الناس في دين اللَّه أفواجًا ، وإن ظل بابا الفاتيكان منزعجًا كما يريد .

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

لغة القرآن الكريم

تعدد مرجع الضمير

قال الله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، اختلف في مرجع الضمير في ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على ثلاثة أقوال :

● **الأول** : أن الضمير يعود إلى أبي بكر الصدِّيق ، وهو قول ابن عباس ، وعلي بن أبي طالب وحبيب بن أبي ثابت ، وأكثر المفسرين .

● **الثاني** : أنه يعود إلى النبي ﷺ ؛ لأنه المُحدث عنه ، وهو قول مقاتل والجمهور ، واختاره ابن كثير ، وقال : ((هي سكينة متجددة خاصة بتلك الحال)) .

● **الثالث** : أن الضمير يعود إليهما معًا والهاء هنا في معنى التثنية ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦٢] .

وربما يؤيد هذا القول الأخير أن الآية في مُصحف حفصة : (فأنزل الله سكينته عليهما) .

والراجح أن الضمير يعود إلى النبي ﷺ ، ولا يلزم من ذلك أن يكون النبي ﷺ قبل ذلك خائفًا غير ساكن القلب ، وقد ورد التصريح بنزول السكينة على النبي ﷺ في موضعين من القرآن الكريم وهما :

● **الأول** : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥، ٢٦] .

● **الثاني** : قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٦] .

فلا خلاف هنا في أن السكينة نزلت على النبي ﷺ ، ولم يقل أحد : إن النبي ﷺ كان خائفًا غير ساكن القلب .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] .

الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَأَنسَاهُ ﴾ وقوله : ﴿ رَبِّهِ ﴾ في تفسيرهما قولان :

● **الأول** : أن يكون راجعًا على الذي ظن يوسف عليه السلام أنه ناج وهو الساقي ، والمراد بربه : سيده .

وهذا قول جماعة من المفسرين منهم : مجاهد ، ومحمد بن إسحاق ، قالوا : لأن صرف وسوسة الشيطان إلى الساقي أولى من صرفها إلى يوسف .

● **الثاني** : وهو قول أكثر المفسرين أن الضمير يعود إلى يوسف عليه السلام ، وهو قول ابن عباس ومجاهد – أيضًا – وعكرمة وغيرهم .

والمعنى : أن الشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله ، وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام ، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر وإن كانت جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات ومرتبته أعلى المراتب ، ولا جرم أن صار يوسف عليه السلام مؤاخذًا بهذا القدر ؛ فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

فإن قيل : كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ربه ؟

أجيب بأن يكون بشغل الخاطر وإلقاء الوسوسة .

وردَّ أبو حيان هذا القول بقوله : (وقيل : إن الضمير في ﴿ أنساه ﴾ عائد على يوسف ورتبوا على ذلك أخبار لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .

● **قلتُ** : والقول الأول هو الراجح اتباعًا للقاعدة العامة ، وهي أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور من قوله : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ ، حيث إن الكاف تعود إلى الذي نجا وهو الساقي . ويقوي ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

ففي أحرج ساعات الشدة يلجأ يوسف عليه السلام إلى الله بقوله : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ ، فلا يليق به إذن أن يوصف بأنه نسي ذكر الله .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فهو داخل في الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢، ٨٣] .

وبعد ذكر هذه النماذج يتبين لنا أن لغة القرآن تتسم قواعدها بالقوة والعمق ، وذلك لا يكاد يرى في لغة أخرى .

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، ويزيدنا علمًا . وبالله التوفيق .

فلا يكون في قلبه غل ، ولا حسد ، ولا كبر على أحد منهم .

قال : وكان أبو عبد اللّه (البشري) - أحد رجال رسالة القشيري - يجتمع به (الخضر) كثيرًا ، فوقع أنه قال لزوجته : ضعي هذا الدرهم إلى غد ، فانقطع عن رؤيته إلى أن مات ، ثم رآه في المنام من بعد ، فقال له : ما ذنبي ؟ فقال له : أما علمت أنّا لا نصحب من يخبئ رزق غد) . [« الميزان الخضرية » للشعراني (١٦)] .

✻ الخضر مقام وليس شخص :

يرى بعض الصوفية أن الخضر مقام يصل إليه العارفون وليس صاحب موسى ، ويقولون : (إن لكل زمان خضرًا ، وأنه نقيب الأولياء ، وكلما مات نقيب أقيم نقيب بعده مكانه ويسمى الخضر ؛ ولهذا يختلف الصوفية في وصف الخضر ، فمنهم من يراه كهلاً أو شيخًا أو رجلاً أو شابًّا ، وهو يؤكد اختلاف المرئي) .

يشير أبو العزايم إلى المتنافسين على مرتبة الخضر ، فيقول : (في هذا العصر أفراد وأبدال وأقطاب وعلماء وما شاكلهم ، كلهم يتنافسون في أن ينالوا مرتبة الخضر عليه السلام ، ولكن ما نالها من طريق الفضل إلا الخضر) . [« في رحاب أنصار الحق » لمحمود ماضي أبو العزايم (١٦٤)] .

يقول القاشاني رأيًا آخر : الخضر : كناية عن البسط ، وإلياس كناية عن القبض ، وأما كون الخضر عليه السلام شخصًا إنسانيًّا باقيًا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد ، أو روحانيًّا يتمثل بصورته لمن يرشده فغير محقق عندي ، بل قد يتمثل له بالصفة الغالبة عليه ، ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس) [« اصطلاحات الصوفية » للقاشاني ، تحقيق د . محمد كمال إبراهيم (١٦٠)] .

وجاء في « معجم مصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحفني (٩٠) في مادة خضر : الخضر: يعبر به عن البسط ، فإن قواه المزاجية مبسوطة إلى عالم الشهادة والغيب ، وكذلك قواه الروحية .

✻ تعقيب هام :

لا يتسع المقام لذكر كل الصوفية الذين يزعمون رؤية الخضر ، وننقل عن الشعراني في « طبقاته الكبرى » وغيرها من مؤلفاته في ترجمة مشايخ الصوفية ، أن ممن اجتمع بالخضر : ذو النون المصري ، والشيخ عبد الرزاق ، وإبراهيم الخواص ، وأبو اليزيد البسطامي ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبو الحسن الشاذلي ، وأبو العباس المرسي ، وياقوت العرشي ، وعلي الضرير النبتيتي ، وعلي الخواص ، وأفضل الدين ، ومحمد المنير وغيرهم ، ولا تنتهي الأمثلة من كتب الشعراني ، بل ومصنفات أبي نعيم والقشيري وابن عربي والجيلي والشبلنجي والسرهندي واليافعي وغيرهم ، لا تخلو من الإشارة إلى اجتماع الأولياء والخضر عليه السلام .

وقد يرى البعض أن هذه لا ضرر من الاستماع إليها ، ولكنها في حقيقة الأمر تهدف إلى تزكية رجال التصوف ، فأين الشافعي وعلمه بزعمهم ؟! وأين الإمام أحمد بن حنبل وفقهه وحفظه للحديث ، ثم مواقفه لحماية العقيدة من بشر الحافي ، ثم إذا تأملنا لقاءاتهم الخضر عليه السلام نلاحظ أمرًا هامًّا أن كل مروياتهم تختلف عن أفعاله الثلاث مع موسى عليهما السلام ، ولا نجد قصة واحدة تلقي ضوءًا عن شخصية الخضر عليه السلام تصلح أن نضيفها إلى ما قصه القرآن عنه ، بل على العكس تمامًا نجد قصص الصوفية تسيء إليه وتنقص من قدره ، فنراه يأمر الجيلاني بالاعتزال ثلاث سنوات ليس له طعام إلا المنبوذ من الطعام ، ولو كان هدفه تهذيب نفسه لأمره بالاعتكاف الشرعي في رمضانٍ في المسجد ، ثم نرى الخضر يعرض نفسه على الخوّاص ليصحبه فيأبى ، ثم يماشي الحفني تابعًا له ، ثم يعلم ابن الحواري رقيةً مخالفة لهدي النبي ﷺ .

إن حياة الخضر إلى اليوم ليست موضوعًا ثانويًّا في الفكر الصوفي ، بحيث لا يضر الصوفي التصديق به أو إنكاره ، بل لقد أصبح في حقيقة الأمر عمود الرحى الذي تدور حوله مجموعة من الأفكار ، فأصبحت حزمة من المبادئ المترابطة ، لا يُقبل أن يؤمن الصوفي ببعضها ويكفر ببعض ، فمجرد رد الصوفي لموضوع واحد ينفرط عقد الفكر الصوفي بالكلية .

وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء اللّه .

المسيح صراحة أنه ما جاء لنقض هذا الناموس الإلهي . [متى : ٥- ١٧] .

وجهنم التي أعلن عنها في العهد الجديد [متى : ٥: ٢٩، ٣٠] هل أعدت للترحيب بالعصاة أم للقهر والانتقام .

ولعلنا نذكرك يا جناب الأسقف بما جاء في الأناجيل من الدليل على القوة والقهر والانتقام : « ويرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع العصاة وفاعلي الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » . [متى : ١٣: ٤١، ٤٢] .

بماذا يسمى ذلك يا جناب الأسقف ؟ أليس الإله هنا هو القوي القاهر المنتقم ، وهي الصفات التي نسبتها جنابك إلى اعتقاد الوثنيين !!

وبماذا تسمي يا جناب الأسقف ما جاء في إنجيل متى : « وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن » . [متى : ٣٤- ٧] ، وما جاء في نفس الإنجيل أصحاح (٣٤) عدد (٣٩) : « .. تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط وقوات السماوات تتزعزع » . أليس ذلك دليل القوة والقهر والانتقام .

والعجيب أن يقول متى : إنه جاء على لسان المسيح : « .. لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (١٥- ٢٤) ، ويمضي هذا الجيل وتمضي بعده أجيال ، وما زالت الشمس تشرق وتغرب والقمر نوره مكتمل ، والنجوم في السماء في أماكنها ، والسماوات متماسكة لم تتزعزع .

وما أوردته يا جناب الأسقف من طعن في أسماء اللّه الحسنى ، وأنها من عقائد الوثنيين ، وأن المسيح أتى « بحب شامل لجميع الأجناس » .

لعلك يا جناب الأسقف لا تنسى قصة المرأة الكنعانية التي وردت في إنجيل « متى » ، وكانت تستنجد بالمسيح ؛ لأن ابنتها مجنونة جدًا ، فأبى وقال : « لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة » . وظلت المرأة في توسلاتها ، فكان رده عليها لأنها كنعانية : « ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » ، فكان رد المرأة : « يا سيد والكلاب أيضًا تأكل من الفتات التي تسقط من مائدة أربابها » . [متى : أصحاح : ١٥: ٢١- ٢٨] .

فهل هذا يا جناب الأسقف هو الحب لجميع الأجناس التي تختلف عن القوة والقهر والانتقام ؟!!

يا جناب الأسقف ، لو كان هذا الإله بعد هذه التضحية العظمى من أجل محبة الناس جميعًا من كل الأجناس والأديان لأغلق أبواب الجحيم إلى الأبد ، ولمنع ظهور النبي محمد ﷺ الذي غير خريطة العالم العقائدية بهذا الاتساع والشمول ، ومنع ظهور هذا الكتاب الحق ، وهو القرآن الذي ظل محفوظًا كما نزل يصحح معرفة الناس بالمسيح عيسى ابن مريم وبرسالته ويضعهما في الموضع الصحيح .

وهكذا أمرنا أن نؤمن بالمسيح عليه السلام ، بل وبرسل اللّه جميعًا عليهم الصلاة والسلام ؛ لأنه طالما أن المرسل واحد فصفاته العليا لا يمكن أن تتغير في التوراة والإنجيل المنزلين ، وفي القرآن الخاتم ، وما أنزله اللّه شيء وما ورد في المؤلفات شيء آخر ، وما شرعته المجالس الدينية من قوانين للإيمان شيء يختلف عن إنجيل المسيح الذي كان يعظ به في بداية دعوته قبل ظهور هذه المصنفات .

ومن أجل هذا حفظ اللّه الرسالة الخاتمة ، ولم يتركها للتبديل والتغيير والتأليف ؛ لأن اللّه تعالى يُعْبد كما يريد ، لا كما يراد له ، ويُعْبد بما شَرع ، لا بما شُرع له ؛ لأنه إله قوي قاهر منتقم عفو غفور رحيم .

وقديمًا قالوا : إذا كان بيتك من زجاج فلا ترجم الناس بالحجارة .

وإذا كانت علاقة الإله بالناس هي المحبة ، فلا بد للمحب أن يكون قويًا قادرًا على حماية أحبائه ، ولا بد أن يكون قاهرًا لأعداء أحبائه ، ولا بد أن يكون منتقمًا من المعتدين على أحبائه ، وإلا فهو حب رمزي خيالي لا نفع من ورائه ، ولذلك جاء في العهد القديم عقوبة القتل للمرتد وعابد الأصنام ، وجاءت عقوبة القصاص من القاتل والمعتدي على الإنسان ، وعقوبة المرأة الزانية التي يأخذها الكاهن إلى باب المدينة ويرجمها بالحجارة ، وعقوبة القتل للسارق وقطع يد من تمتد يده إلى عورة غيره ، بل وعقوبة صاحب الثور النطاح الذي لم يضبطه ، وغيرها من العقوبات التي أوردها سفر التثنية وغيره ، ولا يغيب ذلك عن ثقافة جنابك اللاهوتية ، وأن المسيح عليه السلام أعلن أنه ما جاء لينقض هذا الناموس ، ولما شرعت مصر في دراسة تطبيق هذه الأحكام الواردة في الشريعة الإسلامية لعل جنابك تتذكر ساعتها ما قيل على صفحات جريدة « وطني » من أنها عاهات مستديمة لا يرضى عنها المسيح !!

ونذكرك يا جناب الأسقف أن القرآن الكريم أحل للمسلم أن يتزوج النصرانية واليهودية ، والزوجة على دينها ، ووصف العلاقة الزوجية بأنها مودة ورحمة ، هذا هو تشريع الرحيم المنتقم . وما توفيقي إلا باللّه .

✻ الصوفية يترفعون عن صحبة الخضر :

سُئل الخواص عن أعجب ما رأى ؟ فقال : رأيت منها الكثير ، ولكن ليس فيها ما أعجب من أن الخضر عليه السلام طلب مني أن يصحبني فلم أجبه ! قيل : لِمَ ؟ قال : لأني كنت أطلب رفيقًا خيرًا منه ، ولكني خشيت أن أعتمد عليه دون الحق ، وتضر صحبته بتوكلي ، وأتخلف بالنافلة عن الفريضة . [الهجويري في كشف المحجوب (ص ٣٦٥) ، وكررها مطولة في (ص ٥٣٠) ، وحكاها بشكل ثالث في (٥٨٨)] .

يا عجبًا لهؤلاء كيف يصدقون أن مشايخهم يترفعون عن صحبة الخضر عليه السلام ، بينما موسى الكليم يقطع المسافات ويلقى التعب والنصب لتنفيذ أمر الله له ولقاء الخضر .

✻ الخضر يدل تائهي الصوفية :

وكان أبو إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الخواص يقول : (لقيت الخضر عليه السلام في بادية فسألني الصحبة ، فخشيت أن يفسد عليَّ توكلي بالسكون إليه ففارقته ، ثم يستطرد قائلاً : عطشت في بادية في طريق الحجاز ، فإذا براكب حسن الوجه على دابة شهباء فسقاني الماء ، وأردفني خلفه ، ثم قال : انظر إلى نخيل المدينة فانزل واقرأ على صاحبها مني السلام وقل : أخوك الخضر يقرأ عليك السلام) . [« الطبقات الكبرى » للشعراني (١/٨٤)] .

ويا عجبًا من جرأة أهل الشطح ، الخضر عليه السلام يطلب صحبة الخواص ويرفض الرجل خشية أن يفسد عليه توكله ، ثم يسير في الصحراء بلا زاد أو راحلة حتى إذا عطش يأتيه الخضر فيسقيه ويردفه خلفه ويوصله إلى المدينة ، والخواص لا يعرفه .

أما كان أولى له أن يستن بسنة رسول الله ﷺ في الهجرة حيث أعد زاده وعدته ورتب دابته واستأجر الدليل ، أيخالف الخواص سنة رسول الله ﷺ ثم يزعم لقاء الخضر عليه السلام ، وكأن مهمة الخضر هي سقي الصوفية وتوصيلهم مكافأة على مخالفتهم هدي نبيهم ﷺ !!

✻ الخضر يحب الشوربة :

وكان الشيخ عبد الله القرشي يجتمع كثيرًا بالخضر عليه السلام ، وكان يطبخ طعام القمح كثيرًا ، فقيل له في ذلك ، فقال : (إن الخضر عليه السلام زارني ليلة فقال : اطبخ لي شوربة قمح ، فلم أزل أحبها لمحبة الخضر عليه السلام لها) . [« الطبقات الكبرى » للشعراني (١/١٣٧)] .

ليس الغرض من حكاية الشيخ حب الخضر للشوربة أو ثنائه عليها ، وإنما المقصود أن يوهم أتباعه أنه يجالس الخضر ويأكل معه ، وأنه يتبع الخضر في كل أموره حتى حبه للشوربة ليس من نفسه إنما اتباع وتقليد للخضر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

✻ الخضر تابع للحفني :

ويروي الشعراني صاحب « الطبقات الكبرى » (٢/٩٢) عن الشيخ الحفني : (أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلسه مرارًا يجلس على يمينه ، فإن قام الشيخ قام معه ، وإن دخل الخلوة شيعه إلى باب الخلوة) . ويقول أبو الحسن الشاذلي : (لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي : يا أبا الحسن ، أصحَبَك الله اللطف الجميل ، وكان لك صاحبًا في المقام والرحيل) . [« الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/٤)] .

✻ الخضر يعين الأبدال :

يروي السيوطي عن اليافعي عن بعض أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني قصة غريبة تجعل للخضر دورًا في اختيار الأبدال ، حيث يقول : (خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلة فانفتح له باب المدرسة ، فخرج وخَرَجْتُ خلفه ، فإذا نحن في

❋ الصوفية يترفعون عن صحبة الخضر :

سُئل الخواص عن أعجب ما رأى ؟ فقال : رأيت منها الكثير ، ولكن ليس فيها ما أعجب من أن الخضر عليه السلام طلب مني أن يصحبني فلم أجبه ! قيل : لِمَ ؟ قال : لأني كنت أطلب رفيقًا خيرًا منه ، ولكني خشيت أن أعتمد عليه دون الحق ، وتضر صحبته بتوكلي ، وأتخلف بالنافلة عن الفريضة . [الهجويري في كشف المحجوب (ص ٣٦٥) ، وكررها مطولة في (ص ٥٣٠) ، وحكاها بشكل ثالث في (٥٨٨)] .

يا عجبًا لهؤلاء كيف يصدقون أن مشايخهم يترفعون عن صحبة الخضر عليه السلام ، بينما موسى الكليم يقطع المسافات ويلقى التعب والنصب لتنفيذ أمر الله له ولقاء الخضر .

❋ الخضر يدل تائهي الصوفية :

وكان أبو إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الخواص يقول : (لقيت الخضر عليه السلام في بادية فسألني الصحبة ، فخشيت أن يفسد عليَّ توكلي بالسكون إليه ففارقته ، ثم يستطرد قائلاً : عطشت في بادية في طريق الحجاز ، فإذا براكب حسن الوجه على دابة شهباء فسقاني الماء ، وأردفني خلفه ، ثم قال : انظر إلى نخيل المدينة فانزل واقرأ على صاحبها مني السلام وقل : أخوك الخضر يقرأ عليك السلام) . [« الطبقات الكبرى » للشعراني (٨٤/١)] .

ويا عجبًا من جرأة أهل الشطح ، الخضر عليه السلام يطلب صحبة الخواص ويرفض الرجل خشية أن يفسد عليه توكله ، ثم يسير في الصحراء بلا زاد أو راحلة حتى إذا عطش يأتيه الخضر فيسقيه ويردفه خلفه ويوصله إلى المدينة ، والخواص لا يعرفه .

أما كان أولى له أن يستن بسنة رسول الله ﷺ في الهجرة حيث أعد زاده وعدته ورتب دابته واستأجر الدليل ، أيخالف الخواص سنة رسول الله ﷺ ثم يزعم لقاء الخضر عليه السلام ، وكأن مهمة الخضر هي سقي الصوفية وتوصيلهم مكافأة على مخالفتهم هدي نبيهم ﷺ !!

❋ الخضر يحب الشوربة :

وكان الشيخ عبد الله القرشي يجتمع كثيرًا بالخضر عليه السلام ، وكان يطبخ طعام القمح كثيرًا ، فقيل له في ذلك ، فقال : (إن الخضر عليه السلام زارني ليلة فقال : اطبخ لي شوربة قمح ، فلم أزل أحبها لمحبة الخضر عليه السلام لها) . [« الطبقات الكبرى » للشعراني (١٣٧/١)] .

ليس الغرض من حكاية الشيخ حب الخضر للشوربة أو ثنائه عليها ، وإنما المقصود أن يوهم أتباعه أنه يجالس الخضر ويأكل معه ، وأنه يتبع الخضر في كل أموره حتى حبه للشوربة ليس من نفسه إنما اتباع وتقليد للخضر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

❋ الخضر تابع للحفني :

ويروي الشعراني صاحب « الطبقات الكبرى » (٩٢/٢) عن الشيخ الحفني : (أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلسه مرارًا يجلس على يمينه ، فإن قام الشيخ قام معه ، وإن دخل الخلوة شيعه إلى باب الخلوة) . ويقول أبو الحسن الشاذلي : (لقيت الخضر عليه السلام في صحراء عيذاب فقال لي : يا أبا الحسن ، أصْحَبَك الله اللطف الجميل ، وكان لك صاحبًا في المقام والرحيل) . [« الطبقات الكبرى » للشعراني (٤/٢)] .

❋ الخضر يعين الأبدال :

يروي السيوطي عن اليافعي عن بعض أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلاني قصة غريبة تجعل للخضر دورًا في اختيار الأبدال ، حيث يقول : (خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلة فانفتح له باب المدرسة ، فخرج وخَرَجْتُ خلفه ، فإذا نحن في

المسيح صراحة أنه ما جاء لنقض هذا الناموس الإلهي . [متى : ٥- ١٧] .

وجهنم التي أعلن عنها في العهد الجديد [متى : ٥: ٢٩، ٣٠] هل أعدت للترحيب بالعصاة أم للقهر والانتقام .

ولعلنا نذكرك يا جناب الأسقف بما جاء في الأناجيل من الدليل على القوة والقهر والانتقام : « ويرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع العصاة وفاعلي الإثم ، ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » . [متى : ١٣: ٤١، ٤٢] .

بماذا يسمى ذلك يا جناب الأسقف ؟ أليس الإله هنا هو القوي القاهر المنتقم ، وهي الصفات التي نسبتها جنابك إلى اعتقاد الوثنيين !!

وبماذا تسمي يا جناب الأسقف ما جاء في إنجيل متى : « وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن » . [متى : ٣٤- ٧] ، وما جاء في نفس الإنجيل أصحاح (٣٤) عدد (٣٩) : « .. تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه والنجوم تسقط وقوات السماوات تتزعزع » . أليس ذلك دليل القوة والقهر والانتقام .

والعجيب أن يقول متى : إنه جاء على لسان المسيح : « .. لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله » (١٥- ٢٤) ، ويمضي هذا الجيل وتمضي بعده أجيال ، وما زالت الشمس تشرق وتغرب والقمر نوره مكتمل ، والنجوم في السماء في أماكنها ، والسماوات متماسكة لم تتزعزع .

وما أوردته يا جناب الأسقف من طعن في أسماء الله الحسنى ، وأنها من عقائد الوثنيين ، وأن المسيح أتى « بحب شامل لجميع الأجناس » .

لعلك يا جناب الأسقف لا تنسى قصة المرأة الكنعانية التي وردت في إنجيل « متى » ، وكانت تستنجد بالمسيح ؛ لأن ابنتها مجنونة جدًا ، فأبى وقال : « لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة » . وظلت المرأة في توسلاتها ، فكان رده عليها لأنها كنعانية : « ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » ، فكان رد المرأة : « يا سيد والكلاب أيضًا تأكل من الفتات التي تسقط من مائدة أربابها » . [متى : أصحاح : ١٥: ٢١- ٢٨] .

فهل هذا يا جناب الأسقف هو الحب لجميع الأجناس التي تختلف عن القوة والقهر والانتقام ؟!!

يا جناب الأسقف ، لو كان هذا الإله بعد هذه التضحية العظمى من أجل محبة الناس جميعًا من كل الأجناس والأديان لأغلق أبواب الجحيم إلى الأبد ، ولمنع ظهور النبي محمد ﷺ الذي غير خريطة العالم العقائدية بهذا الاتساع والشمول ، ومنع ظهور هذا الكتاب الحق ، وهو القرآن الذي ظل محفوظًا كما نزل يصحح معرفة الناس بالمسيح عيسى ابن مريم وبرسالته ويضعهما في الموضع الصحيح .

وهكذا أمرنا أن نؤمن بالمسيح عليه السلام ، بل وبرسل الله جميعًا عليهم الصلاة والسلام ؛ لأنه طالما أن المرسل واحد فصفاته العليا لا يمكن أن تتغير في التوراة والإنجيل المنزلين ، وفي القرآن الخاتم ، وما أنزله الله شيء وما ورد في المؤلفات شيء آخر ، وما شرعته المجالس الدينية من قوانين للإيمان شيء يختلف عن إنجيل المسيح الذي كان يعظ به في بداية دعوته قبل ظهور هذه المصنفات .

ومن أجل هذا حفظ الله الرسالة الخاتمة ، ولم يتركها للتبديل والتغيير والتأليف ؛ لأن الله تعالى يُعبد كما يريد ، لا كما يراد له ، ويُعبد بما شرع ، لا بما شُرع له ؛ لأنه إله قوي قاهر منتقم عفو غفور رحيم .

وقديمًا قالوا : إذا كان بيتك من زجاج فلا ترجم الناس بالحجارة .

وإذا كانت علاقة الإله بالناس هي المحبة ، فلا بد للمحب أن يكون قويًا قادرًا على حماية أحبائه ، ولا بد أن يكون قاهرًا لأعداء أحبائه ، ولا بد أن يكون منتقمًا من المعتدين على أحبائه ، وإلا فهو حب رمزي خيالي لا نفع من ورائه ، ولذلك جاء في العهد القديم عقوبة القتل للمرتد وعابد الأصنام ، وجاءت عقوبة القصاص من القاتل والمعتدي على الإنسان ، وعقوبة المرأة الزانية التي يأخذها الكاهن إلى باب المدينة ويرجمها بالحجارة ، وعقوبة القتل للسارق وقطع يد من تمتد يده إلى عورة غيره ، بل وعقوبة صاحب الثور النطاح الذي لم يضبطه ، وغيرها من العقوبات التي أوردها سفر التثنية وغيره ، ولا يغيب ذلك عن ثقافة جنابك اللاهوتية ، وأن المسيح عليه السلام أعلن أنه ما جاء لينقض هذا الناموس ، ولما شرعت مصر في دراسة تطبيق هذه الأحكام الواردة في الشريعة الإسلامية لعل جنابك تتذكر ساعتها ما قيل على صفحات جريدة « وطني » من أنها عاهات مستديمة لا يرضى عنها المسيح !!

ونذكرك يا جناب الأسقف أن القرآن الكريم أحل للمسلم أن يتزوج النصرانية واليهودية ، والزوجة على دينها ، ووصف العلاقة الزوجية بأنها مودة ورحمة ، هذا هو تشريع الرحيم المنتقم . وما توفيقي إلا بالله .

فلا يكون في قلبه غل ، ولا حسد ، ولا كبر على أحد منهم .

قال : وكان أبو عبد اللَّه (البشري) - أحد رجال رسالة القشيري - يجتمع به (الخضر) كثيرًا ، فوقع أنه قال لزوجته : ضعي هذا الدرهم إلى غد ، فانقطع عن رؤيته إلى أن مات ، ثم رآه في المنام من بعد ، فقال له : ما ذنبي ؟ فقال له : أما علمت أنَّا لا نصحب من يخبئ رزق غد) . [« الميزان الخضرية » للشعراني (١٦)] .

❋ **الخضر مقام وليس شخص :**

يرى بعض الصوفية أن الخضر مقام يصل إليه العارفون وليس صاحب موسى ، ويقولون : (إن لكل زمان خضرًا ، وأنه نقيب الأولياء ، وكلما مات نقيب أقيم نقيب بعده مكانه ويسمى الخضر ؛ ولهذا يختلف الصوفية في وصف الخضر ، فمنهم من يراه كهلاً أو شيخًا أو رجلاً أو شابًا ، وهو يؤكد اختلاف المرئي) .

يشير أبو العزايم إلى المتنافسين على مرتبة الخضر ، فيقول : (في هذا العصر أفراد وأبدال وأقطاب وعلماء وما شاكلهم ، كلهم يتنافسون في أن ينالوا مرتبة الخضر عليه السلام ، ولكن ما نالها من طريق الفضل إلا الخضر) . [« في رحاب أنصار الحق » لمحمود ماضي أبو العزايم (١٦٤)] .

يقول القاشاني رأيًا آخر : الخضر : كناية عن البسط ، وإلياس كناية عن القبض ، وأما كون الخضر عليه السلام شخصًا إنسانيًا باقيًا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد ، أو روحانيًا يتمثل بصورته لمن يرشده فغير محقق عندي ، بل قد يتمثل له بالصفة الغالبة عليه ، ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس) [« اصطلاحات الصوفية » للقاشاني ، تحقيق د . محمد كمال إبراهيم (١٦٠)] .

وجاء في « معجم مصطلحات الصوفية » للدكتور عبد المنعم الحفني (٩٠) في مادة خضر : الخضر : يعبر به عن البسط ، فإن قواه المزاجية مبسوطة إلى عالم الشهادة والغيب ، وكذلك قواه الروحية .

❋ **تعقيب هام :**

لا يتسع المقام لذكر كل الصوفية الذين يزعمون رؤية الخضر ، وننقل عن الشعراني في « طبقاته الكبرى » وغيرها من مؤلفاته في ترجمة مشايخ الصوفية ، أن ممن اجتمع بالخضر : ذو النون المصري ، والشيخ عبد الرزاق ، وإبراهيم الخواص ، وأبو اليزيد البسطامي ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبو الحسن الشاذلي ، وأبو العباس المرسي ، وياقوت العرشي ، وعلي الضرير النبتيتي ، وعلي الخواص ، وأفضل الدين ، ومحمد المنير وغيرهم ، ولا تنتهي الأمثلة من كتب الشعراني ، بل ومصنفات أبي نعيم والقشيري وابن عربي والجيلي والشبلنجي والسرهندي واليافعي وغيرهم ، لا تخلو من الإشارة إلى اجتماع الأولياء والخضر عليه السلام .

وقد يرى البعض أن هذه لا ضرر من الاستماع إليها ، ولكنها في حقيقة الأمر تهدف إلى تزكية رجال التصوف ، فأين الشافعي وعلمه بزعمهم ؟! وأين الإمام أحمد بن حنبل وفقهه وحفظه للحديث ، ثم مواقفه لحماية العقيدة من بشر الحافي ، ثم إذا تأملنا لقاءاتهم الخضر عليه السلام نلاحظ أمرًا هامًّا أن كل مروياتهم تختلف عن أفعاله الثلاث مع موسى عليهما السلام ، ولا نجد قصة واحدة تلقي ضوءًا عن شخصية الخضر عليه السلام تصلح أن نضيفها إلى ما قصه القرآن عنه ، بل على العكس تمامًا نجد قصص الصوفية تسيء إليه وتنقص من قدره ، فنراه يأمر الجيلاني بالاعتزال ثلاث سنوات ليس له طعام إلا المنبوذ من الطعام ، ولو كان هدفه تهذيب نفسه لأمره بالاعتكاف الشرعي في رمضان في المسجد ، ثم نرى الخضر يعرض نفسه على الخوّاص ليصحبه فيأبى ، ثم يماشي الحفني تابعًا له ، ثم يعلم ابن الحواري رقيةً مخالفةً لهدي النبي ﷺ .

إن حياة الخضر إلى اليوم ليست موضوعًا ثانويًا في الفكر الصوفي ، بحيث لا يضر الصوفي التصديق به أو إنكاره ، بل لقد أصبح في حقيقة الأمر عمود الرحى الذي تدور حوله مجموعة من الأفكار ، فأصبحت حزمة من المبادئ المترابطة ، لا يُقبل أن يؤمن الصوفي ببعضها ويكفر ببعض ، فمجرد رد الصوفي لموضوع واحد ينفرط عقد الفكر الصوفي بالكلية .

وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء اللَّه .

لغة القرآن الكريم

تعدد مرجع الضمير

قال الله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، اختلف في مرجع الضمير في ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على ثلاثة أقوال :

● **الأول** : أن الضمير يعود إلى أبي بكر الصِّديق ، وهو قول ابن عباس ، وعلي بن أبي طالب وحبيب بن أبي ثابت ، وأكثر المفسرين .

● **الثاني** : أنه يعود إلى النبي ﷺ ؛ لأنه المُحدث عنه ، وهو قول مقاتل والجمهور ، واختاره ابن كثير ، وقال : ((هي سكينة متجددة خاصة بتلك الحال)) .

● **الثالث** : أن الضمير يعود إليهما معًا والهاء هنا في معنى التثنية ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦٢] .

وربما يؤيد هذا القول الأخير أن الآية في مُصحف حفصة : (فأنزل الله سكينته عليهما) .

والراجح أن الضمير يعود إلى النبي ﷺ ، ولا يلزم من ذلك أن يكون النبي ﷺ قبل ذلك خائفًا غير ساكن القلب ، وقد ورد التصريح بنزول السكينة على النبي ﷺ في موضعين من القرآن الكريم وهما :

● **الأول** : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٢٥ ، ٢٦] .

● **الثاني** : قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٦] .

فلا خلاف هنا في أن السكينة نزلت على النبي ﷺ ، ولم يقل أحد : إن النبي ﷺ كان خائفًا غير ساكن القلب .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف : ٤٢] .

الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَأَنسَاهُ ﴾ وقوله : ﴿ رَبِّهِ ﴾ في تفسيرهما قولان :

● **الأول** : أن يكون راجعًا على الذي ظن يوسف عليه السلام أنه ناج وهو الساقي ، والمراد بربه : سيده .

وهذا قول جماعة من المفسرين منهم : مجاهد ، ومحمد بن إسحاق ، قالوا : لأن صرف وسوسة الشيطان إلى الساقي أولى من صرفها إلى يوسف .

● **الثاني** : وهو قول أكثر المفسرين أن الضمير يعود إلى يوسف عليه السلام ، وهو قول ابن عباس ومجاهد - أيضًا - وعكرمة وغيرهم .

والمعنى : أن الشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله ، وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام ، فإن الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر وإن كانت جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه السلام أعلى المقامات ومرتبته أعلى المراتب ، ولا جرم أن صار يوسف عليه السلام مؤاخذًا بهذا القدر ؛ فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

فإن قيل : كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ربه ؟

أجيب بأن يكون بشغل الخاطر وإلقاء الوسوسة . وردَّ أبو حيان هذا القول بقوله : (وقيل : إن الضمير في ﴿ أنساه ﴾ عائد على يوسف ورتبوا على ذلك أخبار لا تليق نسبتها إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .

● **قلتُ** : والقول الأول هو الراجح اتباعًا للقاعدة العامة ، وهي أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور من قوله : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ ، حيث إن الكاف تعود إلى الذي نجا وهو الساقي . ويقوي ذلك قوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ [يوسف : ٢٣] .

ففي أحرج ساعات الشدة يلجأ يوسف عليه السلام إلى الله بقوله : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ ، فلا يليق به إذن أن يوصف بأنه نسي ذكر الله .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فهو داخل في الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢ ، ٨٣] .

وبعد ذكر هذه النماذج يتبين لنا أن لغة القرآن تتسم قواعدها بالقوة والعمق ، وذلك لا يكاد يرى في لغة أخرى .

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، ويزيدنا علمًا . وبالله التوفيق .

والثاني هو الدكتور رولاند إميل لاهي ، الخبير الاستشاري بالبنك الدولي للإنشاء والتعمير في مشروعات الدول النامية ، وهو كندي الجنسية .

والثالث هو الدكتور فرانسوا بندرينك ، أكبر محام في بروكسل ببلجيكا ، وقد أرسل إلى الدكتور الأحمدي أبو النور وزير الأوقاف يطلب منحة دراسية خاصة بالأزهر لدراسة الإسلام واللغة العربية ، حيث قرر إغلاق مكتبه الخاص والحضور إلى مصر للدراسة والعودة مرة أخرى إلى بلاده ، وقد استجاب الوزير لطلبه بشأن تخصيص المنحة الدراسية ، وبدأت إجراءات التنفيذ .

ومن قبل هؤلاء بشهور أشهر إسلامه أمام شيخ الأزهر خبير مضخات بترولية أمريكي سمى نفسه أحمد بريان بدلاً من اسم (ريتشارد) .

أعود مرة أخرى إلى الفاتيكان فأقول : إن تتابع هذه الأخبار عن المد الإسلامي وانتشاره بين هؤلاء المثقفين بين لنا أن البابا لم يكن مخلصًا في دعوته إلى ضرورة إيجاد حوار بين الكنيسة وعلماء الإسلام .. بل لعله كان يتصور - واهمًا - أن نتيجة هذا الحوار ستكون في صالح الصليبية ، فقد نشرت صحيفة « الهيرالدتربيون » الواسعة الانتشار دراسة تقول فيها : إن البابا منزعج ؛ لأن المبادئ الإسلامية تلقى قبولا واسعًا في إفريقيا وآسيا ، وأن المد الإسلامي يهدد التبشير بالمسيحية رغم قصور الإمكانيات الإسلامية وتضخم المساعدات التي تقدمها الكنيسة .

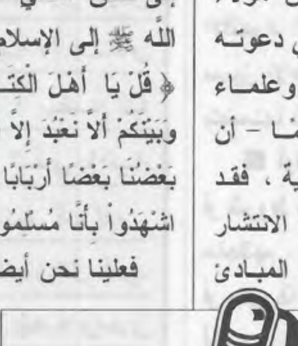

ونحن نقول لكل من يهمه أمر الإسلام في مصر وخارج مصر : إن الدعوة إلى اللّه تستدعي بذل أقصى الجهود الممكنة لعرض الإسلام على غير المسلمين عرضًا سليمًا دقيقًا حكيمًا ، وإذا كانت المساعدات التي تقدمها الكنيسة مساعدات ضخمة كما هو الواقع الفعلي فلا يجوز أبدًا أن نقابل ذلك بالقصور في الإمكانيات الإسلامية ، ولا يجوز أن ننسى أن رسول اللّه ﷺ قام بدعوة سائر القوى السياسية المحيطة بأرض الجزيرة إلى الدخول في الإسلام ، فأرسل رسله إلى هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، ونجاشي الحبشة ، وإلى الحارث الغساني ملك الحيرة ، وإلى عامل كسرى في اليمن ، وإلى أمير البحرين ، وأمير اليمامة .

وقد كانت مخاطبة الملوك وأصحاب الشأن خطوة جديدة للخروج بالدعوة من نطاقها المحدود إلى نطاق عالمي غير محدود ، لقد دعاهم رسول اللّه ﷺ إلى الإسلام ، وقال لهم في آخر دعوته : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

فعلينا نحن أيضًا أن نعمل على إيقاف التبشير الصليبي وعلى نشر الإسلام والتعريف به ، حتى يدخل الناس في دين اللّه أفواجًا ، وإن ظل بابا الفاتيكان منزعجًا كما يريد .

وصلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود : ١١٨] ، لا : نافية ، ويزالون : فعل مضارع ناقص مرفوع بثبوت النون . والواو في محل رفع اسمه ، مختلفين خبره .

وقد يكون النفي قبلها مفهومًا من السياق ، ويشترط له أن يكون في جواب قسمٍ فعلُ جوابه مضارع ، مثل : تاللهِ تزالُ أمتنا بخير ما تمسكت بدينها ، أي لا تزال ، والخبر شبه الجملة ((بخير)) في محل نصب ، وما مصدرية ظرفية في محل نصب ، أي مدةَ تمسكها .

● **تنبيه** : ثمة فعلان في العربية بلفظ ((زال)) هذه في الماضي لكنهما يختلفان عن الناقصة في المعنى والمضارع ، وهما :

١- زال يزيلُ زَيْلاً ، أي ميّز بين شيئين وفصل بينهما ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ [يونس : ٢٨] أي فرقنا وميزنا بينهم ، وزيّل هنا مشددة ، أما الناقصة فلا تستعمل مشددة .

٢- زال يزول زوالاً ، بمعنى هلك أو اضطرب ، ومنه قوله تعالى عن السماء والأرض : ﴿ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٤١] ، التاء : ضمير مبني في محل رفع فاعل زال ، وإنْ في الآيةَ نافية بمعنى ما ، و﴿ أحد ﴾ فاعل مجرور لفظًا بمن الزائدة للتوكيد ، وهو في محل رفع ، والمعنى : ما أمسكهما أحد من بعده ، ولكن التركيب القرآني له بلاغته وإعجازه وجماله ، إذ تفيد ((مِنْ)) الزائدة لفظًا إحاطة النفي وشموله ، فالفعلان : زال يزيل ، وزال يزول تامان .

١٠- فتئ : وهي بمعنى زال وتعمل بشروط عملها ، ومنه قولك : ما فتئ المسلمون يذكرون أرضهم الضائعةَ في الأندلس وفلسطين ، المسلمون : اسم ما فتئ مرفوع بالواو ، يذكرون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون ، والواو : ضمير مبني في محل رفع فاعل ، والجملة في محل نصب خبر ما فتئ ، ويحذف حرف النفي معها قياسًا كما في ﴿ قَالُواْ تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ٨٥] ، حيث أقسم إخوة يوسف أن أباهم ما يزال يذكر يوسف ، وحذف النفي معها هنا قياسي لوقوعها في أسلوب قسمٍ فعلُ جوابه مضارعٌ ، واسم تفتأ ضمير مستتر وجوبًا تقديره أنت ، وخبرها الجملة الفعلية ﴿ تذكر ﴾ في محل نصب ، و﴿ يوسف ﴾ : مفعول به .

١١- برِح : وهي بمعنى زال وتعمل عملها مثل : ما برح المسلمونَ راغبين في التقدم العلمي ، وقد تكون تامةً بمعنى انتقل كقولك : برح الولد مكانه ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف : ٦٠] ، اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : إنها الناقصةَ بمعنى لا أزال ، وخبرها محذوف لدلالة السياق عليه ، وقال آخرون : إنها تامةٌ بمعنى لا أزال متابعًا السفرَ حتى أصلَ مجمعَ البحرين ، فيكون برح بمعنى فارق . [راجع : ((البحر المحيط)) : (١٩٨/٧)] .

١٢- انفكّ : وهي كأخواتها السابقة ، ومنه قولك : الطالبان ما انفكا مجتهدين ، وتأتي تامةً مثل : انفكَّ القيدُ وفككته ، أي حللته .

١٣- دام : وتفيد مع معموليها استمرار المعنى الذي قبلها مدةَ ثبوت معنى الخبر للاسم ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم : ٣١] ، أي أصلي وأزكي مدة دوامي حيًّا ، أي مدةَ ثبوت معنى الخبر ((حيًّا)) لاسمها وهو ياء المتكلم ضمير عيسى عليه السلام ، ويشترط لها أن تكون بلفظ الماضي وتسبقها ما المصدرية الظرفية ، وأن يسبقها كلام كما في الشاهد ، وألا يتقدم خبرها عليها ، ومن ذلك قول بني إسرائيل لموسى حين أُمروا بدخول القدس وفيها قوم أشداء : ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] ، الواو : ضمير مبني في محل رفع اسم دام ، وشبه الجملة ((فيها)) في محل نصب خبرها ، أي ما داموا مستقرين فيها .

وتستعمل تامة كما في قوله تعالى : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ [هود : ١٠٧] ، أي : ما بقيت السماوات والأرض ، و﴿ ما ﴾ مصدرية ظرفية في محل نصب ، والسماوات : فاعل دام .

● من صور الإعجاز في لغة القرآن الكريم :

القرآن كتاب العلم الأكبر ومعجزة الإسلام الخالدة إلى يوم الدين ، ولا شك أن أول مظاهر إعجازه تكمن في لغته التي أخذت من ألفاظ العرب وأساليبهم ، ولكنها ارتقت وسمت إلى آفاق جمالية وبلاغية أعجزتْ أهل البيان والفصاحة .

ومن مظاهر الإعجاز التي لا تُحصى في لغةَ القرآن الكريم أنه لا يستعمل لفظين من أصلين لغويين مختلفين للدلالة على معنى واحد ، وهو ما يُعرف في اللغةَ بظاهرة الترادف اللفظي ، وقد توصلتُ إلى ذلك بعد تحليلٍ دقيقٍ لبعض من لغة القرآن الكريم وفقَ أصول التحليل اللغوي السياقي ، واللغةَ العربية المستعملةَ في عصر القرآن كانت تمثل عدةَ مستويات ولهجات متنوعة ؛ ولذا جاز فيها وقوع الترادف ، ولكن القرآن يمثل مستوى لغويًا واحدًا ، وقد نزل بلغة قريش ؛

في الاقتصاد الإسلامي

بقلم / السيد عبد العال السيد

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، والمسلم يتعامل مع هذه النقطة على أنها من تعاليم الدين ، وبديهي أن الأمر غير موجود في النظام الرأسمالي الذي لا يفرق بين إنتاج السلع الضرورية التي يحتاجها المجتمع وتلك السلع الكمالية ، فالعبرة بالمكسب ولا يهم الإسراف في الكماليات بما لا طائل من ورائه .

■ **ثالثًا** : معايير التقييم لأي تغير في الدخل بالزيادة لأفراد المجتمع في ظل المنهج الإسلامي ليست من وضع البشر ، بل هي معايير وضعها الله عز وجل ، وهذه المعايير ليست مادية فقط ، وإنما هي أخلاقية أيضًا ، ومن ثم يمكن القول بأن كل تغير يقترن بتعاليم الله عز وجل فهو تقدم ، وأن كل تغير يبتعد بالإنسان المسلم عن الله فهو تأخر ، فالزيادة كما ذكرنا لا بد أن تأتي من حلال وتُصْرف في حلال ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

■ **رابعًا** : كل زيادة في الدخل الكلي للمجتمع ينبغي أن تكون مصحوبة بزيادة في دخول الفقراء حتى تُعتبر هذه الزيادة مظهر من مظاهر التقدم في ظل المنهج الإسلامي ، فإن استئثار الأغنياء بكل زيادة في الدخل لا يعتبر مظهرًا من مظاهر التقدم في ظل المنهج الإسلامي ، بل هو من مظاهر التخلف .

والإسلام الحنيف عندما فرض الزكاة واعتبرها ركن من أركان الإسلام ، قد أراد بذلك أن يحقق نوعًا من عدالة التوزيع للدخول بين أفراد المجتمع ، قال تعالى : ﴿ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر : ٧] ، فالشريعة الإسلامية تراعي حق الفرد ، ولا تهمل حق المجتمع ، والجدير بالذكر أن هذه العدالة تختلف كلية عن العدالة في ظل المفهوم الاشتراكي الذي يهدف إلى تذويب الفوارق بين الطبقات وتحقيق مساواة شبه مطلقة بين الجميع ، فيلجأ إلى إجراءات التأميم والمصادرة ، فالدين الإسلامي قد ذكر ذلك وأقره في القرآن ، ذلك التفاوت في الطبقات قال تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

■ **خامسًا** : قد يحدث انخفاض في دخول الأفراد في المجتمع المسلم في حالات معينة عندما ينزل ببلد إسلامي مجاعة أو أزمة اقتصادية أو كارثة أو غير ذلك ، هنا نجد أن الدين يلزم أفراده بأن يساعدوا إخوانهم وينقذوهم من الهلكة والضياع ، قال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] ، والغاية من ذلك العمل ابتغاء رضوان الله وغايته الجنة دون انتظار لأي مطالب أو مكاسب دنيوية .

■ **سادسًا** : الربحية في نفس المسلم في ظل

مجالسه العلمية

وقد كانت مجالسه العلمية .. وإجاباته على الأسئلة الفقهية تتميز بالدقة والإيجاز والوضوح ، وكانت مجالسه تحف بها المهابة ، ومع ذلك كان يتخللها شيء من الترويح عن النفس بالفكاهة المهذبة التي تنقل سامعيه إلى جو باسم ومناخ أخوي مرغوب ، فقد كان يمثل شخصية العالم الجليل ، والداعية المثالي والفقيه المتمكن .

منهج الشيخ – رحمه الله

اعتمد الشيخ سيد سابق – رحمه اللَّه – منهجًا يقوم على طرح التعصب للمذاهب مع عدم تجريح أصحابها والاستناد إلى أدلة من الكتاب والسنة والإجماع ، وتبسيط العبارة للقارئ بعيدًا عن تعقيد المصطلحات وعمق التعليلات ، والميل إلى التسهيل والتيسير على الناس ، والترخيص لهم فيما يقبل الترخيص ، فإن اللَّه يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ، وكما يكره أن تؤتى معصيته ، وحتى يحب الناس الدين ويقبلوا عليه ، كما يحرص على بيان الحكمة من التكليف ؛ اقتداء بالقرآن في تعليل الأحكام .

بُعد الشيخ عن الخلاف !!

وكان من التسهيل الذي اتبعه الشيخ في منهجه الذي ارتضاه في كتابه « فقه السنة » هو البعد عن ذكر الخلاف إلا ما لا بد منه ، فيذكر الأقوال في المسألة ، ويختار الراجح أو الأرجح في الغالب ، وأحيانًا يترك الأمر دون أن يرجح رأيًا ، حيث لم يتضح له الراجح ، أو تكافأت عنده الأقوال والأدلة ، فيرى من الأمانة أن يدع الأمر للقارئ يتحمل مسئولية اختياره أو يسأل عالمًا آخر ، وهذا ما لا يسع العالم غيره .

صلته بأنصار السنة المحمدية !!

لقد كان الشيخ سيد سابق – رحمه اللَّه – على صلة بعلماء أنصار السنة المحمدية أمثال الشيخ حامد الفقي ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل ، والشيخ محمد خليل هراس ، بل وعلى معرفة جيدة بالشيخ أبي الوفاء محمد درويش ، مؤسس أنصار السنة المحمدية بسوهاج ، والذي كان الشيخ سيد سابق يثني عليه كثيرًا ويقول : إنه قد استفاد من كتاباته وخاصة كتابه « معارف إسلامية » .

وظلت علاقة الشيخ برجال أنصار السنة المحمدية علاقة طيبة ، حتى بعد أن أعيد إشهار الجماعة ، فقد كان الشيخ رشاد الشافعي – رحمه اللَّه – يدعوه إلى مقر الجماعة بعابدين لإلقاء الدروس والمحاضرات العلمية ، وكان – رحمه اللَّه – يسعد بذلك كثيرًا ، وكان إقبال شيوخ وشباب أنصار السنة كبيرًا على محاضراته ، حيث كانت تمتلئ بهم الدار يوم حضوره إليها .

رحيل العالم الجليل .. الداعية والفقيه !!

كما كان – رحمه اللَّه – من كُتَّاب مجلة التوحيد عند صدورها في السبعينات ، فجزاه اللَّه خير الجزاء عما قدم من خدمات وعطاء في سبيل نشر عقيدة أهل السنة والجماعة . رحم اللَّه عالمنا الجليل رحمة واسعة ، وأثابه في حياته الباقية على ما قدم في الحياة الفانية من جلائل الأعمال ، وجزاه عن العلم والإسلام والأمة خير ما يجزي العلماء العاملين والدعاة الصادقين .

وإنا للَّه وإنا إليه راجعون .

الهجــــرة
وعناية القرآن الكريم بها

بقلم فضيلة الشيخ / أحمد طه نصر

الهجرةُ مبادئ خالدة ، ومثلٌ عليا ، تُحدد للمسلمين هدفهم ليمضوا إلى غاياتهم في صدِق وجدّ ، وجديرٌ بنا ونحن نودع عامًا ونستقبل عامًا أنْ نحاسب أنفسنا حسابًا صادقًا ؛ ماذا قدّمنا لديننا ؟ وهل خُطانا على طريق العمل الجاد لإعلاء كلمة اللّه وإبلاغ أمانة دعوته ، ولإصلاح حياة ومجتمع المسلمين ، بل وإلى إنقاذ البشرية مما تردّت فيه من جاهلية ووثنية ، فهل كانت دعوة الإسلام إلاّ دعوة إلى التوحيد الخالص للّه رب العالمين ، إلى عزّ الدنيا وفوز الآخرة .

إن على كل مسلم يرجو لقاء ربه ، ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦] ، أن تتحول الهجرة في حياته إلى عمل نافع وسلوك راشد ، وعلى المسلمين كافة أن يهاجروا بأرواحهم وقلوبهم إلى اللّه هداية واستغناء به عز وجل عمن سواه ، اعتصامًا بدينه بالكتاب الكريم عقيدة ومنهجًا وخُلقًا وتحاكمًا ، واقتداء بالنبي الأمين ﷺ الذي نُسأل عنه بين يدي اللّه عز وجل بتحرّي سنته ، واتخاذه إمامًا لا نقدم بين يديه شيئًا ولا رأيًا ؛ لأنه ﷺ هو الأسوة الحسنة على طريق اللّه المستقيم .

نظرة فحص ودراسة للقرآن الكريم نجده قد انبسط في تسجيله لقيم حادث الهجرة الذي عظم أمره وظهر أثره ، وتجلى قدره ، ودلّ على يقين وإيمان راسخ وثبات على الحق واعتزاز بالدين الحق ، يسجل القرآن رضاء اللّه عن قوم أُخرجوا من ديارهم وأجبروا على ترك أموالهم وديارهم ، وتحمل الاغتراب والمشقة والعذاب في سبيل العقيدة التي خالطت القلوب ، وامتزجت بالأرواح ، ويشهدُ لهم بصدقهم ؛ إذْ يسميهم بفعلهم حينما أسماهم المهاجرين ، ويشمل رضاه قومًا بالمدينة فتحوا قلوبهم لدين اللّه الحق ، وفتحوا ديارهم لإخوانهم المهاجرين من أهل هذا الدين ، وأعانوهم وقاسموهم ما يملكون ، ويعرض من أخلاقهم ما سما بهم ، فقال سبحانه : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

الدعوة .. والدعاة !!

بقلم الدكتور / محمد أحمد المسيّر

الأستاذ بجامعة الأزهر

هناك تصور شائع يحسب أن كل أئمة المساجد دعاة .

ونحن نرفض هذا التصور ؛ لأن أئمة المساجد - في الأصل - موظفون لرعاية المساجد والإعلان بالصلاة وإمامة المسلمين في الأوقات الخمسة ، وهذه مهمة يكتفى فيها - لدى كثير من الدول الإسلامية - بقدر ضئيل من الثقافة الإسلامية ، أشبه ما يكون بمحو الأمية الدينية .

وكثير من هؤلاء إذا اعتلى المنبر لخطبة الجمعة يكون قد نسخها من بعض الكتب ، وقد لا يحسن قراءتها ، وتتحول خطبة الجمعة إلى حصة قراءة فاشلة .

وما هؤلاء بالدعاة !! ولا بهؤلاء تنهض الدعوة !!

إن الداعية رجل يحمل مؤهلات فطرية ومكتسبة ، ولديه مواهب فكرية ، وله بصيرة الحكيم ، وفراسة المؤمن ، ويعيش قضايا أمته وفكر عصره .

وهؤلاء الدعاة لا يقاسون بالكثرة ، وإنما يكفي في كل منطقة عدد قليل ، يمثلون مدارس اجتهادية ، ويلتف حولهم الناس لعلمهم وعملهم وإخلاصهم وحكمتهم .

وقد يكون هؤلاء الدعاة أئمة في مساجد ، أو أساتذة في جامعات أو مسئولين في الإعلام المقروء والمسموع والمرئي ، أو أطباء في مستشفى ، أو مهندسين في مصنع ، أو سفراء لبلادهم في دول العالم .

ولا ننسى أن الذين نشروا الإسلام في أقصى بلاد الدنيا كانوا تجارًا يعيشون بأخلاق الإسلام .

وقد قال رسول الله ﷺ في صحيح الحديث : « لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » .

وجاء في حديث رواه أبو داود قول رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » .

والمراد بالبعث ليس بعث النبوة ؛ لأن النبوة قد ختمت بسيدنا محمد ﷺ ، وإنما البعث بعث إيجاد وتدبير وعناية .

وإذا أراد الله أمرًا يسر له أسبابه .

والمسلمون اليوم مطالبون بإعداد الدعاة ، ويتحقق ذلك على المستوى العالمي بما يلي :

١ - إقامة معاهد العلم والجامعات في بلاد المسلمين المحرومة من التعليم .

٢ - زيادة المنح الدراسية لأبناء الجاليات الإسلامية ليتفقهوا في الدين ، وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

٣ - إنشاء مراكز البحوث والترجمة لملاحقة ما يقال عن الإسلام ورد الشبهات .

٤ - العناية بطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه إلى كل لغات العالم .

٥ - إحياء الأوقاف الإسلامية ، وتوجيه الاستثمارات الإسلامية إلى تنمية المجتمعات الإسلامية الفقيرة ، والنهوض بأبنائها وبناتها حتى لا تتلقفهم الأيدي الصليبية الحاقدة .

وعلى المستوى الإقليمي والمحلي بما يلي :

١ - ربط المسلم بالمسجد : فإن لذلك أهمية تربوية كبرى ، فالمسجد في الإسلام هو الجامع والجامعة ، وكل بقعة تتحول إلى مسجد تصبح بيتًا طاهرًا لله يهرب منها الشيطان .

٢ - احترام العالم وتبجيله : أحد عوامل تربية الشباب ، فاحترام العالم هو احترام للدين نفسه ، وللعلم الذي يحمل أمانته ، وللرسالة التي يؤديها .

٣ - إقامة حلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد للصغار والكبار ، للرجال والنساء ؛ لأن القرآن هو حياة المسلم وشرفه وعرضه ومناط عزه وسعادته في الدنيا والآخرة .

٤ - إقامة المحاضرات والندوات الدائمة في المساجد ، وتعاقب العلماء عليها في مواقيت ثابتة حتى تصبح المساجد مراكز إشعاع فكري وثقافي .

٥ - الحرص على بناء المسجد الجامع ذي المرافق المتعددة ، فيختار في كل منطقة مسجد جامع تؤدى فيه الجمعة ، ويلقي فيه الخطبة إمام له مواهب خاصة ، ويلحق بالمسجد المستشفى ودار اليتيم والتأهيل المهني ومقر الزكاة ، بحيث يكون المسجد مستقلاً في مبناه المعد للصلاة ، ليس فوقه ولا تحته شيء ، وبجواره هذه المرافق العامة التي تساعد في النهضة الاقتصادية والاجتماعية للحي .

والله الموفق .

وحسيًا ، وأنه عز وجل ضمن لهم الخير والنجاح والتمكين والسعة في الحياة والرزق والنصر ، وأعظم من هذا هو وقوع الأجر على الله تعالى ؛ إن هو مات في هجرته فإنه سيجدُ عنده عز وجل خير الجزاء : ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٠٠]، ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الحج : ٨٥] .

وفي الحديث المتفق عليه : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا » ، وإنما هي اليوم مفتوحة أمام المسلمين هجرة في سبيل العلم ، هجرة في سبيل الفضل ، هجرة في سبيل الكرامة ، هجرة لكل ما حرّمه الله عز وجل من زُور ومنكر : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المزمل : ٥] ، بل حفاظًا على حدود الله في الدماء والأموال والأعراض ، وكلها تجد عند الله الفضل والجزاء ما دامت خالصة لله وعملاً بمرضاته ، ولخير الأمة الإسلامية التي شاء الله أن تكون خير أمة .

الهجرة بناء ونظام ، من يوم وصل ﷺ إلى يثرب أخذ مباشرة في الإعداد وبناء الأمة الإسلامية في دارها الجديدة ، دار الانطلاق والعمل والجهاد ، فبدأ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، تلك المؤاخاة التي كانت أول لبنات القوة والقاعدة الأصيلة التي تتحرك منها وعليها جماعة المسلمين إلى الجهاد الذي أصبح واجبًا مقدسًا ، وكانت المؤاخاة تماسكًا قويًا في الصف الواحد حتى لا تستطيع المكايد أن تنفذ إلى الجماعة أو تنال منها ، تحدثنا السيرة عن نموذج اللبنات التي اصطفاها الله لغرس شجرة الإسلام ، ويسجله الكتاب ثناءً : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] ، آخى ﷺ بين سعد بن الربيع الأنصاري وبين عبد الرحمن بن عوف المهاجري في حديث البخاري : سماحة من سعد يقابلها نبلٌ وإباءٌ من عبد الرحمن رضي الله عنهما وعن الصحب جميعًا . قال سعد لأخيه : أقسمُ مالي نصفين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، ويردُّ عبد الرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟ الحديث .

ثم أخذ ﷺ في بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حُوربت ، وتقام فيه الصلوات التي تربط المرء بربِّ العالمين ، يؤمهم ﷺ ويتعهدهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، من الغداة إلى العشي .

إن الصلاة صِلَةٌ وطهور ، وهو أول مسجد أسس على التقوى ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة : ١٠٨] .

اللهم لا عَيْشَ إلا عيش الآخره
فاغفر للأنصار والمهاجره

يذكر ابن القيم رحمه الله عن الهجرة الواجبة اليوم : هجرة من عبودية غير الله إلى عبودية الله وحده ، هجرة من إمامة غير رسول الله ﷺ وتقليد الشيوخ إلى إمامته ﷺ طريق السلامة ، هجرة من كتب الضالين إلى كتاب الله الذكر الحكيم والصراط المستقيم ، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه .

وبالله التوفيق .

العطاء يكون من غير مال القُصَّر !!

● **يسأل** : شاهين الباز أبو ملح - من قرية سند بسط - غربية :

عن معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٨] ؟

○ **الجواب** : يقول السعدي في تفسير الآية الكريمة : إذا حضر قسمة المواريث الأقارب غير الوارثين المستحقون من الفقراء فأعطوهما ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب ولا عناء ولا نصب ، فإن نفوسهم متشوفة إليه ، وقلوبهم متطلعة ، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم وهو نافعهم ، ويلاحظ في هذا المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان ، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر كما كان النبي ﷺ يقول : ((إذا جاء أحدكم خادمُه بطعامه فليجلسه معه ، فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين)) . أو كما قال ﷺ .

وكان الصحابة رضي اللَّه عنهم إذا بدت باكورة أشجارهم أتوا بها رسول اللَّه ﷺ فبرك عليها ، ونظر الى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك ، علمًا منه بشدة تشوفه إلى ذلك ، وهذا كله مع إمكان الإعطاء ، فإن لم يمكن ذلك لكونه حق سفهاء أو ثم أهم من ذلك فليقولوا لهم قولاً معروفًا يردونهم ردًا جميلاً بقول حسن غير فاحش ولا قبيح . (انتهى كلام السعدي) .

فالنظر في قول السعدي ، رحمه اللَّه تعالى ، يفيد أن العطاء يكون من غير مال القصَّر ، وأن يكون مما يقبل ذلك ، فلا يعطى من عقار أو أرض ، إنما يكون ذلك من ثوب تركه المتوفى ، أو متاع لا يضر الورثة بذله للمخالطين من المتشوفين لذلك ، وهذا حاصل ما ذكره كثير من المفسرين ، وقد ذكر ابن كثير أن الجمهور على أن الآية منسوخة .

العبرة في المغرب بغروب الشمس !!

● **كما يسأل** :

في شهر رمضان المعظم المؤذنون في قريتنا يؤذنون الفجر مع أذان الإذاعة ، وعند المغرب يتمهلون في الأذان ، فما الصحيح في ذلك ؟

○ **الجواب** : أن السائل من ((سند بسط)) ، وهي قرية على خط طول قريب جدًا من خط طول القاهرة بين ٣١ ْ: ٣١.٣٠ ْ، وهذا يعني التشابه مع مواقيت القاهرة ، إلا أن العبرة في المغرب بغروب الشمس ، وفي الفجر بطلوع الفجر الصادق ، وأن يظهر خيط على خط الأفق يتفجر من الظلمة الشديدة في مكان شروق الشمس .

ونسوق في ذلك كلامًا لابن حجر من ((فتح الباري)) في شرحه للحديث رقم (١٩٥٨) قال : (تنبيه) : من البدع المنكرة ما أحدث في هذا الزمان من إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر نحو ثلث ساعة في رمضان وإطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الأكل والشرب على من يريد الصيام ، زعمًا ممن أحدثه أنه للاحتياط في العبادة ، ولا يعلم بذلك إلا آحاد الناس ، وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا ، فأخروا الفطر وعجلوا السحور ، وخالفوا السنة ، فلذلك قل عنهم الخير ، وكثر فيهم الشر . واللَّه المستعان . (انتهى) .

هذا ، وإن فروق التوقيت معتبرة ، والأدلة الكونية على المواقيت ظاهرة ، فضلاً عما يسر اللَّه عز وجل به من أجهزة تزيد الأمر وضوحًا . والحمد للَّه رب العالمين .

* * *

الحلقة الثالثة

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾

٥- تأمل كيف حكم اللَّه - وله السلطان العظيم والقدرة - أن لا يربى موسى عليه السلام إلا على فراش فرعون بطعامه وشرابه ، مع محبته وزوجته له .

٦- وانظر إلى « اللام » في قوله تعالى : ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ ، والتي سمّاها العلماء لام الأمر التكويني ، كيف دلّت على قدرة اللَّه الذي سخر البحر لحمل موسى حملاً خفيفًا هينًا وإلقائه بالساحل أمام قصر فرعون ؛ لتحمله الجواري إلى امرأة فرعون ، من الذي هدى البحر إلى هذا الفعل وعلَّمه هذا العلم ودربه هذا التدريب وكأنه رجل مُعَلَّم ؟ ومن الذي هدى الجواري إلى صنيعهم ؟ ومن الذي ألقى محبة موسى في قلب امرأة فرعون وفي قلب زوجها ؟ أليس هو اللَّه ذو الحكمة البالغة والقدرة المقتدرة ؟

٧- الأمة الواثقة في نصر اللَّه ؛ عليها ألا تيأس من رحمة اللَّه مهما بلغ بها الضعف ، ويجب ألا يستولي عليها الكسل عن السعي في إصلاح شأنها ، وخاصة إذا كانوا مظلومين ، كما استنقذ اللَّه بني إسرائيل من فرعون .

٨- الأمة مادامت ذليلة مقهورة مستسلمة للضعف لا يقوم لها أمر دينها كما لا يقوم لها أمر دنياها .

٩- الخوف الطبيعي من الخلق لا ينافي الإيمان ولا يزيله ، كما جرى لأمّ موسى من تلك المخاوف الطبيعية .

١٠- الإيمان يزيد وينقص ؛ لقوله تعالى : ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، والمراد بالإيمان هنا زيادته وزيادة طمأنينته .

١١- عناية اللَّه بعباده الصالحين وأوليائه المتقين ، حيث أحاط أم موسى عليه السلام برحمته ، وربط على قلبها لتزداد إيمانًا ويقينًا مع إيمانها .

١٢- ومن رحمته بأم موسى أن حرَّم على موسى المراضع ؛ حتى يعود لأمه وينجز لها سبحانه وعده بردّه إليها ، وتحت كفالة فرعون ونفقته .

١٣- المؤمن مع إيمانه بقدر اللَّه لا يهمل الأخذ بالأسباب المشروعة كما أمرت أم موسى أخته بتتبع أثره . ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص : ١١] .

١٤- « فرِّق تسد » ، هذا قانون الظلمة منذ زمن فرعون الذي جعل شعبه شيعًا .

✺ ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ :

الصنع : جعل الشيء على صفة معينة ؛ كصنع صفائح الحديد قدورًا ، وصنع الخشب أبوابًا ، وصنع كل شيء بحسبه ، وصنع الآدمي : معناه التربية البدنية والعقلية : التربية البدنية بالغذاء ، والتربية العقلية بالآداب والأخلاق والعلوم النافعة ، وفي الآية الكريمة إثبات العين للَّه سبحانه وتعالى بما يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، وفيها كذلك تأكيد المراقبة والعناية

الزبير : حدثنا جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب ، فقال : « ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب ! تزفزفين ؟ » قالت : الحمى لا بارك الله فيها . فقال . فذكره .

ورواه ابن ماجه (٢/٣٤٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا نحوه دون القصة .

وفيه موسى بن عبيدة ضعيف .

وقد تم تخريج الحديث في « الصحيحة » (ج٣ برقم ١٢١٥) بزيادة فيه .

☐ ما درجة حديث : « إذا أنفقَ الرجلُ على أهلِهِ نفقة يَحْتَسِبُها ؛ فهي له صدقةٌ » ؟

■ الجواب : أخرجه البخاري (١/٢٠) ، والنسائي (١/٣٥٣) ، والطيالسي (ص ٨٦ رقم ٦١٥) ، والسياق له ، وكذا الطبراني في « المعجم الكبير » (١٧/١٩٦/٥٢٢ و٥٢٣) ، وابن حبان (٦/٢١٩/٤٢٢٤ و٤٢٢٥) من حديث أبي مسعود البدري مرفوعًا .

وفي رواية البخاري (٦/١٨٩) : « المسلم » بدل « الرجل » .

☐ ما درجة حديث : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أَجْرُهُ بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ؛ لا ينقصُ بعضهم أجر بعض شيئًا » ؟

■ الجواب : رواه البخاري (٢/١١٧ و١١٩ و١٢٠) ، ومسلم (٣/٩٠) ، وأبو داود (١/٢٦٧) ، والنسائي (١/٣٥١، ٣٥٢) ، والترمذي (١/١٣٠) وصححه ، وابن ماجه (٢/٤٤) ، وأحمد (٦/٤٤ و٩٩ و٢٧٨) ، والحميدي (١/١٣٣/٢٧٦) ، وابن أبي شيبة (٦/٥٨٢/٢١٢٠) ، وعبد الرزاق (٤/١٤٨/٧٢٧٥ و٩/١٢٨/١٦٦١٩) من حديث عائشة مرفوعًا .

☐ ما درجة حديث : « أسرعُ قبائل العربِ فَنَاءً قريش ، ويوشِكُ أنْ تَمُرَّ المرأة بالنَّعْلِ فتقول : إنَّ هذا نَعْلُ قُرَشِيٍّ » ؟

■ الجواب : أخرجه أحمد (٢/٣٣٦) : ثنا عمر بن سعد ، ثنا يحيى - يعني : ابن زكريا بن أبي زائدة - عن سعد بن طارق ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة مرفوعًا .

وهذا **إسناد صحيح** على شرط مسلم .

وأخرجه البزار (٣/٢٩٨/٢٧٨٨ - كشف الأستار) ، وأبو يعلى في « مسنده » (١١/٦٨/٦٢٠٥) من طريق أبي داود الحفري عمر بن سعد به .

وفي « المجمع » (١٠/٢٨) : (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ببعضه ، والطبراني في « الأوسط » ، وقال : « هذه » بدل « هذا » ، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال « الصحيح ») .

وللحديث شاهد من رواية عائشة بلفظ : « يا عائشة ، قومك أسرع أمتي بي لحاقًا » .

والله تعالى أعلم .

قتل القبطي ، وإنما كان يريد فقط دفع ظلمه عن الإسرائيلي ، ولكن موسى عليه السلام كان معروفًا بالقوة البدنية ، فأدت ضربته إلى قتل القبطي دون قصد منه ؛ لذلك اعترف أن الذي حدث من عمل الشيطان ، أي من إغوائه ، فهو مضل واضح العداوة وواضح الضلال .

ولأن موسى عليه السلام قد آتاه اللَّه الحكم والعلم فقد عرف أن الذي وقع منه من إيعاذ الشيطان ، واعترف بخطئه ، واستغفر ربَّه مما بدر منه وإن كان لم يقصده ، وذلك لأنه من المحسنين ، قال موسى متضرعًا إلى اللَّه راجعًا إليه راجيًا مغفرته ورحمته : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ ؛ أي بالقتل الخطأ الذي وقع مني ، ﴿ فَاغْفِرْ لِي ﴾ ، فاستجاب له ربه ، ﴿ فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

❋ موسى يعاهد ربَّه :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص : ١٧] ؛ أي بما أنعمت عليَّ من نعمة القوة والهداية فلن أكون معينًا للظالمين الخارجين عن حدودك . وقد احتج أهل الفضل والعلم بهذه الآية على منع خدمة أهل الجور ومعونتهم في شيء من أمورهم ، وقد نقل الإمام القرطبي في « تفسيره » ذلك عن عطاء بن أبي رباح ، رحمه اللَّه ، حيث قال الفقيه التابعي : لا يحل لأحد أن يعين ظالمًا ولا يكتب له ولا يصحبه ، وإنه إن فعل شيئًا من ذلك فقد صار معينًا للظالمين .

❋ خطورة موقف موسى عليه السلام بعد قتل القبطي :

قال تعالى :﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص : ١٨، ١٩] .

قال الإمام ابن كثير في « تفسيره » : أي أصبح موسى خائفًا من قتل القطبي أن يؤخذ به ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ أي : يتلفت من الخوف ينتظر الطلب وما يتحدث به الناس ، فإذا الإسرائيلي الذي خلَّصه بالأمس يخاصم قبطيًا آخر ويستغيث بموسى لينصره على القبطي ، فقال له موسى : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ أي : ظاهر الغواية كثير الشر تخاصم من لا تستطيع دفع شرَّه عنك ، ثم عزم موسى عليه السلام على البطش بذلك القبطي فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسى يريد البطش به لما سمعه يقول : ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، فقال يدافع عن نفسه : ﴿ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ﴾ ، فلما سمعها ذلك القبطي ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده . اهـ .

فماذا نتوقع من فرعون حين يعلم أن موسى قتل قبطيًّا انتصارًا لإسرائيلي ؟ النتيجة معروفة ، لقد ظهر المستور وتأكدت عداوة موسى لفرعون وقومه مهما كان من أمر موسى وصلته بفرعون ، فهذا موسى الذي كان من المفروض أن يُقتل وهو وليد لقد حان قتله الآن ، وبالفعل أصدر فرعون أوامره بإحضار موسى وقتله فورًا ، فهل سيستطيع فرعون قتل موسى ؟ هذا ما سنعرفه بإذن اللَّه في لقائنا القادم ، لكنني أذكرك بقوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ ، ضعها أمام عينك .

وإلى لقاء آخر إن شاء اللَّه .

☐ **ما درجة حديث : « من سبح اللَّه مائة بالغداةِ ، ومائةً بالعشيِّ ، كان كمن حج مائة مرةٍ ، ومَنْ حمدَ اللَّه مائةً بالغداة ومائةً بالعشيِّ ، كان كمنْ حمل على عاتقه فرسًا في سبيل اللَّه ، أو قال : غزا مائة غزوةٍ ، ومَنْ هللَ اللَّه مائةً بالغداة ومائة بالعشي لم يأتِ في ذلك اليومِ أحدٌ بأكثر مما أتى ، إلا مَنْ قالَ مثلما قالَ ، أو زاد على مثل ما قالَ » .**

■ الجواب : **ضعيف** . أخرجه الترمذي (٢٥٩/٢) من طريق أبي سفيان الحميري - هو سعيد بن يحيى الواسطي - عن الضحاك بن حُمْرة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول اللَّه ﷺ . فذكره ، وقال : (حديث حسن غريب) .

قُلْتُ : بل هو ضعيف الإسناد منكر المتن في نقدي ، فإن ابن حُمرَة بضم الحاء وفتح الراء ضعيف ، كما قال الحافظ في « التقريب » ، ولذلك تعقب الذهبي الترمذي بقوله : (وحسَّنه فلم يصنع شيئًا) .

☐ **ما درجة حديث : « أفضل الأعمال الحبُّ في اللَّه ، والبغض في اللَّه » ؟**

■ الجواب : **ضعيف** . أخرجه أبو داود (٤٥٩٩) من طريق يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر قال : قال رسول اللَّه ﷺ .

قُلْتُ : وهذا سند ضعيف من أجل الرجل الذي لم يسم ، فهو مجهول ، وأيضًا فإن يزيد بن أبي زياد وهو القرشي الهاشمي مولاهم الكوفي ضعيف لسوء حفظه .

☐ **ما درجة حديث : « مفاتيحُ الجنةِ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللَّه » ؟**

■ الجواب : **ضعيف** . أخرجه أحمد (٢٤٢/٥) ، والبزار (رقم٢ - كشف الأستار) عن إسماعيل بن عياش عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول اللَّه ﷺ . فذكره . وقال البزار : (شهر لم يسمع من معاذ) .

قُلْتُ : وهذا إسناد ضعيف ، شهر ضعيف لسوء حفظه ، ثم إنه منقطع بين شهر ومعاذ ، كما أفاده البزار .

وإسماعيل بن عياش ثقة ، ولكنه ضعيف في روايته عن غير الشاميين ، وهذا منها ، فإن شيخه ابن أبي حسين مكي .

☐ **ما درجة حديث : « جاءني جبريلُ فقال : يا محمدُ ، إذا توضأت فانتضحْ » ؟**

■ الجواب : **منكر** . أخرجه الترمذي (٥٠/٧١/١) ، وابن ماجه (٤٦٣/١٥٧/١) ، والعقيلي في « الضعفاء » (ص ٨٥) من طريق الحسن بن علي الهاشمي عن عبد الرحمن الأعرج

إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ

تحتسب جماعة أنصار السنة المحمدية - عند اللَّه - رجلاً من أخلص رجالها ، وأكثرهم تفانيًا في خدمتها ، وهو الشيخ المهندس محمد سيد متولي ، وذلك عن عمر ناهز ٧٥ عامًا ، فقد كان - رحمه اللَّه - من مواليد ١٨/١٠/١٩٢٤، وقد وافاه الأجل فجر يوم الجمعة ثاني أيام عيد الأضحى المبارك لعام ١٤٢٠هـ ، أي يوم ١١/١٢/١٤٢٠هـ ، وذلك بعد عطاء كبير وجهاد واضح في سبيل نشر الدعوة ، وقد عمل - رحمه اللَّه - لمدة طويلة سكرتيرًا عامًّا للجماعة ، ولما كان - رحمه اللَّه - مهندسًا فقد أشرف على بناء المركز العام للجماعة ، كما ساهم في الإشراف والتنفيذ لكثير من مساجد الجماعة ، وذلك زمن رياسة فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم - رحمه اللَّه .

ولقد كان - رحمه اللَّه - رغم إصابته بالشلل النصفي في أواخر أيامه ، كان كثير السؤال عن إخوانه ، ولم ينقطع عن الصلاة بالمسجد ، ولقد شهد - رحمه اللَّه - صلاة عيد الأضحى المبارك هذا العام ، وهنأ إخوانه ، ودعا لهم ، ثم توفي بعد أقل من ٢٤ ساعة ، وقد صلى عليه إخوانه صلاة الجنازة بعد صلاة الجمعة بمسجد التوحيد بالمركز العام .

كان - رحمه اللَّه - من السابقين إلى الانضمام إلى ركب الدعوة زمن مؤسسها الأول الشيخ محمد حامد الفقي ، وكان صديقًا للشيخ عبد الرحمن الوكيل ، ومحبًّا للشيخ أبي الوفاء درويش ، ورفيقًا للشيخ محمد خليل هراس .

كما كان معه في عضوية مجلس الإدارة الشيخ بخاري عبده ، والشيخ أحمد فهمي ، والشيخ عكاشة عبده ، والشيخ الحسيني الدمياطي ، والشيخ عبد الباقي الحسيني ، والشيخ إبراهيم عزب ، والشيخ عطية حنفي ، والشيخ أحمد محمود .

وقد كان الشيخ محمد علي عبد الرحيم يُكِن له مودة خاصة ويمتدح تواضعه وتفانيه .

وفي الختام نسأل اللَّه أن يجعل الفقيد في الفردوس الأعلى ، وأن يأجرنا فيه ، وأن يخلفنا خيرًا منه ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وكتبه

فتحي عثمان

وكيل عام الجماعة

جماعة أنصار السنة المحمدية
تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦م

١. الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب وإلى حب الله تعالى حبا صحيحا صادقا يتمثل فى طاعته وتقواه ، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا صحيحا صادقا يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة

٢. الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور

٣. الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط : عقيدة وعملاً وخلقاً

٤. الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره - فى أى شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه ، منازعٌ إياه فى حقوقه.

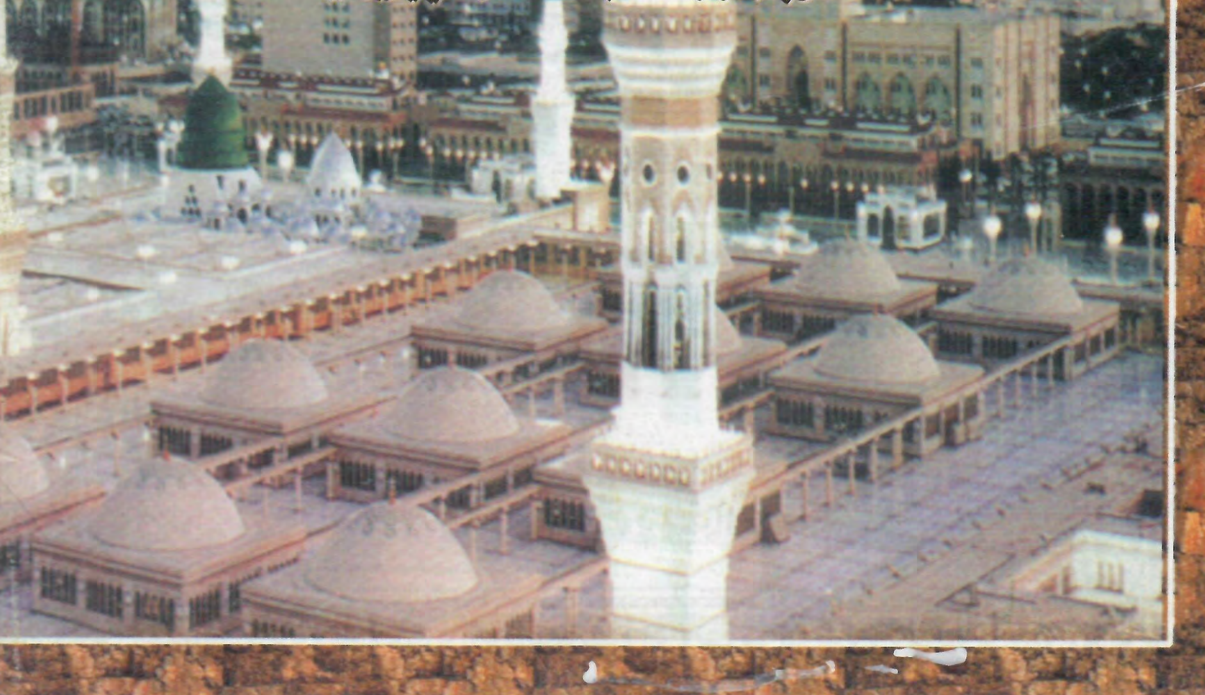تلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية يومياً